مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإسلامية) المجلد السادس عشر، العدد الأول، ص135- ص 172 يناير 2008
ISSN 1726-6807, http://www.iugaza.edu.ps/ara/research/

خطـــــوات الشيطـــــان " دراسة قرآنية موضوعية "

د. عبد السلام حمدان اللوح
الأستاذ المشارك بقسم التفسير وعلوم القرآن
كليـة أصول الدين
الجامعة الإسـلامية – غزة – فلسطين

أ. وائل عمر بشير
محاضر في التفسير وعلومه
بكلية الدعوة الإسلامية
وزارة الأوقـاف والشئـون الدينيـة
غزة - فلسـطين

ملخص: إن هذه الدراسة لون من ألوان التفسير الموضوعي ، وهي تتناول كشف اللثام عن مدى خطورة الشيطان التي تتهدد الناس في الدنيا والآخرة ، وتجعلهم عرضة للغواية والضلال والانحراف عن طريق الحق والسداد ، فكان لابد من العود إلى حقيقة لفظ (الشيطان) ، والوقوف على تصاريفها ومواضع ورودها في السور المكية والمدنية ، مع بيان الخطوات المنهجية التي يسلكها الشيطان لتضليل الإنسان ، سواء كان ذلك بتزيين الباطل وتسويله ، أم بالإنساء ، أم بالتمنية والإملاء ، أم بالتخويف من الفقر والموت ، أم بالنزغ والمس .

Abstract : This study is a type of holy Quran's subjective explanation, it uncovers the dangers of satans on mankind in this world & there-after, those satans which drag the mankind into there ways of mislead & astray& deviate him from the right way, so its been urgent that we extract the inevitable facts on this subject from the holy Quran through a scientific research which has clearified the foot-steps of satan through the stagal steps : tornamenting & tolerating the mischief, making forget the right, plunging the man in endless dreams & illusions, intimidating from poverty & death, arousing anger & misconducts among mankind, may Allah guard man from satan's evilness & guide him to recognise his eternal enemy.

مقدمة :

الحمد لله الذي عرفَ عباده بالعدو الأول الحسود الحقود اللدود ، والصلاة والسلام على البشير النذير محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد : -

فـإن أول عداوة وأشدها هي عداوة الشيطان لآدم عليه السلام وبنيه ، هذه العداوة القديمة من لدن آدم علـيه السـلام ، وقد استمرت عبر العصور والأجيال مع ذرية آدم ، وما زالت وستبقى ببقاء الأيام إلى يوم القيامة.

وقد أشار القرآن الكريم لهذه العداوة في آيات كثيرة محذراً ومنذراً من اتباع الشيطان وخطواته ، فشد ذلك انتباه الباحثَين لتناول هذا الموضوع بالدراسة الموضوعية لإبراز هذا الموضوع القرآني مـن خلال الآيات التي تناولته ، بما يؤصّلُ هذا الموضوع من وجهةٍ قرآنية خالصة ، خاصة وقد

خطوات الشيطان

استشـرى خطـر الشـياطين وأتباعهم في عالمنا اليوم ، مع عدم إدراك الناس لهذا الخطر الذي يتهددهم في الدنيا والآخرة ، سواء أكان هذا الخطر من شياطين الجن أم الإنس.

وأمام غفلة الناس عن هذا الخطر ، وعدم معرفة طرق الغواية والضلال التي تتبعها الشياطين في إبعـاد الـناس عـن طـريق الحـق ، فقد كان لزاماً أن نتناول هذا الموضوع بالبحث والدراسة الموضوعية إيضاح المفهوم الحقيقي للفظة الشيطان ، والوقوف على ورود هذه اللفظة في السياق القرآني ، مع إبراز اللطائف والعبر والعظات المترتبة على وجود هذه اللفظة ، وتصريفاتها ، في السـور المكـية والمدنية ، ثم تناول أقوال أهل اللغة والتفسير في المراد بالخطوات ، مع النظر والتمحيص في هذه الأقوال ، وبيان بلاغة التعبير القرآني ، حيث قال في أكثر من آية "ولاَ تَتِبعواْ خُطُواتِ الشيطَان". البقرة (168 ، 208).

ثـم تحديـد الخطوات المنهجية التي يسلكها الشيطان لتضليل الإنسان ، وإيقاعه في الغواية والتي هي غاية الشيطان من وراء الخطوات ، ولقد خص الباحثان بهذه الدراسة خطوات الشيطان التي تسـبق الغواية وتقود إليها فتُوقع في الزلل ، آملَين من الله عز وجلّ أن ييسر لهما الكتابة في تلـك الخطـوات الشـيطانية التي تتبع الزلل وتتلبس بالإثم كالخمر والميسر والأنصاب والأزلام وإيقاع العداوة والصد عن ذكر الله وعن الصلاة وكشف العورات والتحاكم إلى الطواغيت ... إلخ وذلك في بحث آخر بإذن الله ، اللهم إنا نسألك العون والتيسير.

وتحقـيقاً لهـدف البحـث وغايته ، فقد جعل الباحثان هذه الدراسة في مقدمةٍ، ومبحثين، وخاتمة وذلك **كما يلي:**

المقدمة : وفيها أهمية البحث وغايته ، والدوافع التي أدت إليه مجملة ، ثم هيكلية الدراسة.

المبحث الأول : نظرات حول الشيطان وخطواته

وفيه مطلبان:-

المطلب الأول : لفظة الشيطان في السياق القرآني.

وفيه ثلاثة أفرع :-

أولاً : تعريف لفظة الشيطان لغة وشرعاً.

ثانياً : ورود اللفظة في السياق القرآني.

ثالثاً : لطائف مستنبطة مما سبق .

المطلب الثاني : خطوات الشيطان بين التعريف وبلاغة التعبير.

وفيه ثلاثة أفرع :-

أولاً : نظرة في أقوال أهل اللغة والتفسير.

ثانياً : وقفة مع هذه الأقوال.

ثالثاً : بلاغة التعبير القرآني (خطوات الشيطان)

المبحث الثاني : الخطوات المنهجية للشيطان.

وفيه خمسة مطالب :-

المطلب الأول : تزيين الباطل وتسويله.

المطلب الثاني : الإنساء.

المطلب الثالث : التمنية والإملاء.

المطلب الرابع : التخويف من الفقر والموت.

المطلب الخامس : النزغ والمس.

الخاتمة : وفيها أهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج.

المبحث الأول :

نظرات حول الشيطان وخطواته

المطلب الأول : لفظة الشيطان في السياق القرآني

أولاً : تعريف لفظة الشيطان لغة وشرعاً

1- تعريف لفظة الشيطان لغة :

اختلف أهل اللغة في الأصل الذي يرجع إليه اشتقاق هذه الكلمة على **قولين:**

الأول : أنها ترجع في اشتقاقها إلى الجذر (شَطَن)، : والشَطَن: الحبل الطويل الشديد الفتل يستقى به ، وشَطَنَتِ الدار إذا بعدت ، والشَطْن مصدر شَطَنه يشطُنه: إذا خالفه عن نيته ووجهه ، ورمح شَطون طويل أعوج ، والشيطان كل عاتٍ متمرد من الإنس والجن والدواب ، والعرب تسمي الحية شيطاناً، ومنه قوله تعالى عن شجرة الزقوم " طَلْعها كأنه رؤُوس الشياطِين " [1].

الثاني : أنها ترجع إلى الجذر (شَيَطَ) : شاط الشيء شيطاً وشياطة وشيطوطة : احترق ، وشاطت القدر شيطاً احترقت ، وشاط الرجل: هلك ، والإشاطة الإهلاك ، والشيطان فَعلان من شاط يشيط إذا هلك واحترق[2].

1 سورة الصافات ، الآية 65.

2 - انظر المعاجم التالية :

* معجم العين – للخليل بن أحمد الفراهيدي – ص479، 503.

* مجمل اللغة – لابن فارس – ج2 – ص502، 518.

ونخلص من خلال هذين المعنيين إلى أن (شطن) أصل مضطرد يدل في أصل معناه على البعد والعوج ، و(شيط) أصل مضطرد يدل في أصل معناه على الهلاك والبطلان.

إن الخلاف في اشتقاق لفظة الشيطان من أحد الجذرين ، خلافُ قديم بين أرباب اللغة ، كانت نشأته مع نشأة مدرستي البصرة والكوفة في اللغة[1] ، ومهما يكن مرجع هذه اللفظة، فإن كلا المعنيين لصيق بمفهوم هذه اللفظة في الشرع ، فهو البعيد دائماً وأبداً عن الحق والخير ، وهو الهالك الباطل .

2- تعريف لفظة الشيطان في مفهوم الشرع :

لم نلجأ في بحثنا هذا إلى التسمية والعنْونة بالمعنى الاصطلاحي ، فالاصطلاح كلمة تدل على خصوصية ارتضاها أهل فن من الفنون، أو علم من العلوم، لكلمة ذات معنى عام ، أما هنا فكلمة الشيطان إنما هي في معناها لا تحمل اصطلاحاً عند قوم دون قوم ، بل هي باقية على معناها اللغوي ، مع بعض القيود البسيطة أو الاحترازات الطفيفة التي أضافها الشرع إليها ، وقد وقع تعريف لفظة الشيطان في أكثر كتب اللغة **على النحو التالي :**

الشيطان : هو كل عاتٍ متمرد من الجن والإنس والدواب.

وهذا تعريف صحيح ينطبق على مفهوم الشيطان في القديم والحديث ، لكن لو قُيد بالتمرد على أوامر ا لكان أولى، واستئناساً بالمعاني اللغوية السابقة يكون التعريف الأدق للشيطان هو: (كل عاتٍ متمرد على أوامر ا من الجن والإنس).

ثانياً : ورود اللفظة في السياق القرآني

وردت لفظة الشيطان وتصريفاتها المختلفة (شيطاناً ، شياطين ، شياطينهم)[2] (ثماني وثمانين مرة) ، منها تسع وستون معرفة بـ(أل)، أو بالوصف ، ومرة واحـدة بلفظـة (شيطانـاً) نكرة ، وثماني عشرة مرة بلفظة (شياطين) معرفة بـ(أل)، أو بالإضافة .

أما على صعيد المكي والمدني من السور ، فقد وردت لفظة الشيطان واشتقاقاتها ثلاثاً

---

* المحيط في اللغة – للصاحب بن عباد – ج7 – ص304، 358.
* لسـان العرب – لابن منظور – ج13 – ص237، 337 .، * مختار الصحاح – للفخر الرازي – ص 338
* المفـردات في غريب القرآن – للراغب الاصفهاني – ص261.، * المصباح المنير – للفيومي – ص 142

1 - انظر : روح المعاني – للألوسي – ج 1 – ص 157.

2 - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – محمد فؤاد بعد الباقي – ص 485

وخمسين مرة في ثنايا السور المكية ، وخمساً وثلاثين مرة في السور المدنية.

وقد وردت هذه اللفظة وتصريفاتها في ثنايا ستٍّ وثلاثين سورة من القرآن الكريم، احتلت السور الواقعة في أول المصحف العثماني القدر الأكبر منها، فأخذت البقرة ، والنساء ، والأعراف ثماني لفظات لكل سورة ، ثم تلتها في الترتيب الأنعام بست لفظات ، ثم الإسراء ، ومريم بخمس لفظات لكل سورة ، ثم الحج ، والمجادلة بأربع لفظات لكل سورة ، ثم آل عمران ، ويوسف بثلاث لفظات لكل سورة ، ثم المائدة ، والأنفال ، والنحل ، والنور ، والصافات ، وص، والزخرف ، والشعراء، بلفظتين لكل سورة ، ثم إبراهيم ، والحِجر ، والكهف ، وطه ، والفرقان ، والنمل ، والقصص ، والعنكبوت ، ولقمان ، وفاطر ، ويس ، وفصلت ، ومحمد ، والحشر ، والتكوير ، والأنبياء ، والمؤمنون ، والملك بلفظة واحدة لكل سورة .

ثالثاً : لطائف مستنبطة مما سبق

يمكننـا استنباط بعض المعانـي ، واللطائـف من الإحصائيـات السـابقة حـول ورود لفظـة الشيطان في كتاب ا وذلك **على النحو التالي :**

1- وردت لفظة (شيطان) بتصريفاتها ثماني وثمانين مرة موزعة بين سور هذا الكتاب المنير وآياته وهذا العدد يدل على أهمية هذه القضية للبشر ، ذلك أن هذا القرآن هو كتاب هداية وإرشاد ، والشيطان هو عنصر ضلال وإضلال ، فوجب التحذير منه، وبيان حقيقته .

2- ورود هـذه اللفظة في السور المكية (53 مرة) وفي السور المدنية (35 مرة) دليل على أخذ هذا الموضوع أهمية أكبر في العهد المكي للدعوة ، حيث جاء القرآن على قوم جاهليين، تمكن منهم الشيطان ، واستحوذ عليهم ، وليس أدل على ذلك من واقعهم القائم على الكفر ، بحيث لم يبقَ إلا عدة نفر على دين التوحيد في الجزيرة ، فكان لزاماً أن يبين لهم القرآن خطر هذا الشيطان ، ويوضح لهم خطواتِهِ وغاياتِهِ .

3- خلو سورة التوبة – على طولها – من هذه اللفظة إشارة إلي ضعف الشياطين وبطلانهم ، وعدم صمودهم أمام الحق ، لا سيما ذلك الحق القوي بألفاظه ، الجلي بمعانيه ، الشديد على الباطل ، والذي تمثل في سورة التوبة ، ففرت منها الشياطين خوفاً وفرقاً، لأن كيد الشيطان كان ضعيفاً، ولا سلطان له على الذين أمنوا وعلى ربهم يتوكلون، ويدخل فيهم المجاهدون في سبيل ا دخولاً مباشراً ، وحسب هذه السورة أنها تحدثت عن المنافقين وهم شياطين الإنس ، وتحدثت عن أهل الكتاب وفيهم اليهود ، وهم شياطين كما أخبر القرآن عن المنافقين

خطوات الشيطان

في صدر سورة البقرة ﴿...وإِذَا خَلَواْ إِلَى شَيَاطِينِهم ...﴾ [1].

المطلب الثاني : خطوات الشيطان بين التعريف وبلاغة التعبير

أولاً : نظرة في أقوال أهل اللغة والتفسير

1- أقوال أهل اللغة :

(خطو(أ)) : "الخاء والطاء والحرف المعتل والمهموز يدل على تعدي الشيء ، والذهاب عنه، يقـال: خطـوت أخطو خُطوة ، الخُطوة : ما بين الرجلين ، والخطوة : المرة الواحدة . والخطأ مـن هـذا ، لأنـه مجـاوزة حد الصواب ، يقال أخطأ إذا تعدى الصواب ، وخطئ يخطأ : إذا أذنب..." [2].

وقـد فسر كثير من أهل اللغة هذا التعبير القرآني " خطوات الشيطان " على حسب ما فهموا من معـنى لغـوي، فقال ابن السِّكِّيت[3] " نقلاً عن أبي العباس في قوله تعالى : ﴿ **لا تَتبِعوا خُطُواتِ الشـيطَان** ﴾ [4] أي في الشر ، وقال الزجاج : خطوات الشيطان : طرقه وآثاره ، وقال الفراء : معناه لا تتبعوا أثره، فإن اتباعه معصية ، وقال الليث : معناه لا تقتدوا به " [5] .

هـذا طـرف من أقوال أهل اللغة في معنى خطوات الشيطان، ونلاحظ من خلال هذه الأقـوال أنها تركزت على مفهومين، هما : " الأثر والطريقة " ، ونحن إذ نذكر هذين المفهومين هنا لا نقصد أن نرجح أحدهما على الآخر ، أو أن نوفق بينهما في مثل هذه المرحلة المبكرة من المبحـث ، بل يجدر بنا أن نعرض لأقوال المفسرين في قديم وحديث قبل أن نخلص إلى الرؤية القرآنـية لهذا التعبير، وسيتضح لك في السطور القادمة كيف اختلف المفسرون في تحديد مفهوم خطوات الشيطان بين هذين المعنيين الذَين خلصنا بهما عند أهل اللغة.

2- أقوال أهل التفسير :

أعرض هنا لأقوال أشهر المفسرين في قديم وحديث دون التعرض للمكرر منها :

- يـنقل الطـبري بسـنده عن بعض الصحابة والتابعين من أرباب التفسير ما أثر عنهـم في

1- سورة البقرة ، آية 14 .

2- معجم المقاييس في اللغة – لابن فارس – ص 322 ، 323 .

3- هـو : يعقـوب بن إسحاق أبو يوسف بن السكّيت ، إمام في اللغة والأدب ، أصله من خوزستان بين البصرة وفارس ، توفي سنة 244 هـ - الأعلام – للزركلي – ج 8 – ص 195 .

4- سورة البقرة ، الآية 168

5- انظر لسان العرب – لابن منظور – ج 14 – ص 232

تعـريف "خطـوات الشيطان" ، فعن ابن عباس : خطواته : أي عمله ، مجاهد : خطيئته ، قـتادة : خطاياه ، الضحاك : خطايا الشيطان التي يأمر بها ، السدي : طاعته ، ابن مجاز : النذور في المعاصي "(1) ثم يعلق على هذه الأقوال خالصاً إلى ما يختاره، فيقول : غير أن حقـيقة تـأويل الكلمـة هو ما بيناه من أنها بعد ما بين قدميه ، ثم تستعمل في جميع آثاره وطرقه "[2].

- ويبين صاحب الكشاف معنى هذا التعبير فيقول : " يقال اتبع خطواته، ووطئ على عقبه، إذا اقتدى به، واستن بسنته " [3].
- ويسـهب الألوسـي في تبيان معنى الخطوات فيقول : " أي آثاره كما حكِي عن الخليل ، أو أعمالـه،كما روي عـن ابـن عباس رضي ا عنهما ، أو خطاياه، كما نقل عن مجاهد – وحاصـل المعـنى لا تقـتدوا به، وتستنوا بسنته، فتحرموا الحلال، وتحللوا الحرام ، وعن الصـادق : من خطوات الشيطان الحلف بالطلاق ، والنذور في المعاصي ، وكل يمين بغير ا تعالى ..."[4].
- ويقـول الطاهـر بـن عاشور في هذا التعبير : " واتباع خطواته استعارة تمثيلية أصلها أن السائر إذا رأى آثار خطوات السائرين تبع ذلك المسلك، علماً منه بأنه ما سـار فيـه السائر قـبله إلا لأنه موصل للمطلوب ، فشبه المقتدي الذي لا دليل له سوى المقتدى به، وهو يظن مسلكه موصلاً ، بالذي يتبع خطوات السائرين ، وشاعت هذه التمثيلية حتى صاروا يقولون : هو يتبع خطا فلان ، بمعنى يقتدي به، ويتمثل له " [5].
- ويقـول سعيد حوى في تفسيره : " (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) : أي طرقه التي يدعوكم إلـيها ، يقـال: اتبع خطواته، فاقتدى به، واستن بسنته ، والخطوات : تزيين الحرام، واتباع الشهوات ... "[6].
- ونخـتـم بنظـرات الشيخ الشعراوي في تبيـان معنى الخطوات، حيث يقول : "(لا تتبعوا

1- جامع البيان – للطبري – م 1 – ج 2 – ص 102
2- المرجع السابق – م1 – ج 2 – ص 103
3- الكشاف – للزمخشري – ج 1 – ص 195
4- روح المعاني – للألوسي – ج 2 – ص 58 ، 59
5- التحرير والتنوير – لابن عاشور – م 2 – ج 2 – ص 103
6- الأساس في التفسير – لسعيد حوى – ج 1 – ص 371

خطـوات الشيطان) : أي لا تسيروا وراء الشيطان ، فالخطوة هي المسافة بين القدمين عند المشـي، أو بين النقلة والنقلة ، ولا تجعلوا الشيطان قائدكم، لأن الشيطان عداوته لكم مسبقة، ويجـب أن تحـتاطوا بسـوء الظـن فيه،فهو الذي عصى ربه، ولا يصح أن يطاع في أي أمر..."[1].

ثانياً : وقفة مع هذه الأقوال

إن الـناظر فـي هـذه الأقوال قديمها وحديثها يدرك أنها في مجملها تعود إلى معنيين رئيسين ، هما ذاتهما اللذان دارت عليهما أقوال أهل اللغة في معنى الخطوات ، فعمله، وخطيئته، وخطاياه، وآثاره، والاقتداء به ، والسير وراءه، كلها تصب في معنيين، هما : الآثام أو الموصل إلـى تلـك الآثام. فمن ذهب إلى أن الخطوات هي الآثار قصد أنها ما يعمله الشيطان ، وكذا من قـال إنـه الاقـتداء والاتباع والسير في دربه، أما من قال: إن الخطوات هي الخطايا فقد ضمن المعنى الأول زيادةً، وهي دواعي الآثام وأسبابها.

ولقـد ذهـب كثير من علماء السلف من الصحابة والتابعين وغيرهم إلى أن خطوات الشـيطان هـي آثـاره ، فا جل ثناؤه يحذر بني البشر من اتباع تلك الآثار : (لا تتبعوا خطـوات الشـيطان) : أي لا تعملـوا بأعماله، وتقتدوا بأفعاله، فتصيبوا الإثم، كما أصاب هو الخطايـا ، وعلـى هذا التفسير تكون الخطواتُ هي الغاياتِ التي أراد الشيطان لأعدائه أن يقعوا فيها .

أمـا علماء الخلف فقد أضافوا إلى ذلك المعنى ما يكون به الاتباع والاقتداء وهو وسائل الشيطان في الإغواء من وسوسة، وإيحاء، وتخويف، وتزيين، وإملاء .

ومن خلال هذين المعنيين المتداخلين تنبثق عدة أسئلة مهمة تتعلق بألفاظ الآية **ومؤداها:**

1- إذا كانـت خطوات الشيطان بمعنى أعماله ، وإذا كان الإنسان اليوم وفي الماضي ما ترك خبيـثاً إلا وقد وقع فيه ، فهل يشمل عمل الشيطان كل هذه الأعمال بالضرورة كي يحذرنا ا من اتباع خطواته؟
2- إذا كـان مـا ذهـب إليه أكثر السلف دقيقاً جامعاً لمعنى الخطوات ، فلماذا استعمل الحق سبحانه هذه الكلمة بالذات، مع أن ما ذهبوا إليه يصدق على كلمة (آثار) أو (أعمال) ؟
3- ثم إن كانت الخطوات تتعدى الأعمال، لتشمل ما يوصل إليه، مما يزينه الشيطان ويوسوس بـه ، فكـيف يكون الاتباع لمثل هذه الأشياء التي يصدق عليها الوقوع أو السقوط إتباعاً

1- تفسير الشعراوي – محمد متولي الشعراوي – ج 2 - 699

لخطوات الشيطان من باب أولى ؟

وللإجابة على هذه التساؤلات نقول :

إن أول زلـل وقـع فيه البشر كان من قبل أبينا آدم عليه السلام وأمنا حواء رضي ا عنها ، وكان هذا الزلل بمثابة اتباع لخطوة من خطوات الشيطان – عن جهل تام من آدم وزوجه بتلك الخطوات، إذ لم يكن لهما سبق مثال، أو حال ينبئهما بتلك الخطوات على ما كان من إبليس مـن إقسـام لهما بالنصح – فكان هذا الزلل، وهذا الاتباع لتلك الخطوة، وهو الأكل من الشجرة لـيس تقليداً لعمل عمله إبليس ، بل انخداع بتسويل، وتمنية، وكذب، ، وعلى ذلك فليس شرطاً أن يكون إبليس وجنده قد وقعوا في كل ما أرادوا للبشر أن يقعوا فيه.

وإذا كـان الأمـر كذلـك ، وإذا لم تكن الخطوات بمعنى الآثار فقط، فكيف يتأتى اتباع ما ليس بعمـل؟، هـذا الاتباع يكون إما بالتقليد لما يعمل الشيطان، أو يكون بالانقياد لما يريده ، فالمنقاد لوسـاوس الشـيطان وغوايته ، والمنجرف في دروبه وأهوائه هو متبع له ، فقد تسير أنت وراء الشـيطان بمحـض إرادتك فتعمل ما عمل ، أو قد تقع من حيث لا تدري في شراكِه فتكون من أتباعه، إن لم تستيقظ من غفلتك ، وتتوب إلى ا كما تاب آدم عليه السلام، فاجتباه ربه، ثم تاب عليه،وهدى.

ثالثاً: بلاغة التعبير القرآني "خطوات الشيطان"

نظـر السـلف علـيهم رحمة ا ورضوانه إلى ما يحدثُه الشيطان في بني البشر من انغمـاس في الشهوات ، وعمل للمنكرات ، ووقوع في الفحشاء، فقالوا: هذه هي الخطوات التي يقـع فيها البشر ، فنظرتهم تلك هي نظرة عملية واقعية ، ولما بدأ إمعان النظر يدخل على العلوم الإسلامية ، فيبحث الباحثون عن المكامن، وينقّبون عن الأسباب والدوافع، اتسعت دائرة تعريف تلك الخطوات، لتشمل ما من شأنه أن يوقع في مثل هذا الضلال.

وقـد جـاء هـذا التعبير القرآني الجميل ليرسم لنا صورة متكاملة لقصة الشيطان مع الإنسان ليس فقط على صعيد الخطايا وحدها، أو السبل وحدها ، بل هو تعبير دقيق رائع، يرسم لقارئه صورة واضحة جلية لما يريده الشيطان من الإنسان منذ تكليفه إلى حين خروج روحه من الجسـد ، فالمـتأمل في هذا التعبير يجد فيه صورة التدرج البطيء الذي يسلب الإنسان دينه من حيث لا يدري ، تدرج شديد البطء، لا يكاد المرء يميز بين مراحله ، تماماً كما هو حال الخطوة التـي تتـبعها الخطوة في طريق طويل بعيد الشُقة ، وإذا عرفنا أن خطوات الشيطان هي سلسلة مـترابطة العرى ، متداخلة الحلقات ، وجب أن ندرك أن طريق الشيطان لا تبدأ بتقليده في عمل مـا ، أو اتـباعه في أثر ما ، بل هي سلسلة تبدأ بالوسوسة، فالتسويل والتزيين بالتحسين تارة،

والتخويف أخرى ، بالتمنية مرة، والتسويف أخرى، ثم تتوالى الخطوات حتى يحصل الزلل، فيقع الإنسان في المعصية.

يقـول الإمـام الحارثي في هذا الباب : إن العبد إنما يؤتى من قبل التهاون باليسير، وهو الذي يوقع في الإثم الكبير ، والتهاون باليسير هو الأساس الذي يبنى عليه الكثير، فيكون أوله : تحفظاً، ثـم صار انبساطاً، ثم صار من الانبساط إلى ذكر اليسير. ثم صار من اليسير، إلى ما هو أكثر مـنه، فـلا تشـعر حتى ترى نفسك حيث كنت تكره أن ترى فيه غيرك، ففي ترك اليسير ترك اليسير والكثير " [1]

معنى خطوات الشيطان :

لـم يأخـذ هـذا التعبيـر القرآنـي تعريفـاً اصطلاحيـاً أو شرعياً ، إذ هو تعبيـر قرآنـي يخضـع بشكل كامل للمعنى اللغوي البلاغي الذي يرسمه لنا ، وقد رأينا كيف انبسـط هـ ـذا التعبيـر، ليملأ صفحات وصفحات بالوصف له وتبيينه ، ولذا يعسر أن تلم كلمات قلائل بكـل مـا يخبر به هذا التعبير ، وأفضل سبيل في الخروج ببيـان معنـى لهاتيـن الكلمتين هو الدمـج بيـن المفهوم البلاغي لهذا الأسلوب وبين المعاني الشرعيـة المترتبـة علـى اتباع هذه الخطوات .

وإذا ألقيـنا نظرة على ما ورد في كتب المفسرين في قديم وحديث نجد أن أكثرهم ذكر المعـنى اللغـوي لكلمـة خطـوات، ثم ربطه بسياق الآية ، ونجد البعض قد ركز على المعنى البلاغـي، وأبـرز جمال هذا التعبير ، ولكننا نريد هنا أن نخرج بمعنى علمي دقيق لهذا التعبير القرآنـي ، (فهو ليس مجرد كلمة أو أسلوب ، بل هو نظم جميل، وتعبير غاية في الدقة، يربط تلـك الصورة التي يتعامل بها الشيطان مع أعدائه بالآثار الشرعية المترتبة على ذلك الإتباع)، وهذا ما يظهر من خلال السياق القرآني ، فالحق سبحانه وتعالى يؤكد في الآية التي تليها أن تلك الخطـوات إنما هي أوامر شرّ وفحش وسوء، وتقول على ا ﴿ **إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولـوا علـى الله ما لا تعلمون** ﴾ [2] ، وهذه كلها محاذير شرعية تنتج عن تلك الخطوات واتباعها ، ولذا نرى أن يكون المعنى الشرعي لهذا التعبير **على النحو التالي :**

معنى خطوات الشيطان شرعاً :

هـي المراحل الشيطانية الموقعة في المعصية، بدءاً ببواعث تلك المعصية ودواعيها في

1- مواعظ الإمام الحارثي المحاسبي – ص 88

2 - سورة البقرة ، الآية 169

الـنفس ، مـروراً بارتكابها واكتساب الإثم ، ثم انتهاء بكون تلك المعصية مفتاحاً لما يتلوها من معاصٍ تنتهي إلى غاية الشيطان الكبرى، وهي إيقاع الناس في الكفر، والموت على ذلك.[1]

المبحث الثاني

الخطوات المنهجية للشيطان

بعد أن تعرفنا على ماهية خطوات الشيطان، وخطورتها على الإنسان ، وبعد أن رأينا كيف تنتقل هـذه الخطـوات إلى العبد، ومن أين يؤتى بها إليه ، نتعرف في هذا المبحث على هذه الخطوات المنهجـية التي يجذب بها الشيطان أعداءه إلى مصائده، فيوقعهم في المعصية تلو المعصية، حتى ينتهـي بهم إلى الموت على الكفر، ولكننا سنذكر هنا تلك الخطوات التي تسبق الوقوع في الإثم، كـي تكون مجردة عن الغايات الشيطانية ، فمتى وصل الإنسان إلى الزلل الموقع في الإثم وصل إلى غاية من غايات الشيطان ، قد تكون هذه الغاية بدورها خطوة إلى غاية تتلوها، وهكذا.

المطلب الأول : تزيين الباطل وتسويله :

تزييـن الباطل وتحسينه في نفس المرء هو من أول خطوات الشيطان وأخطرها، حيث يأخذ هذا التزيين طريقه إلى القلب والعقل عبر الوساوس ، فتحمله، فيدخل عبر نقاط الضعف لدى الإنسان.

وقد استعمل الكتاب العزيز ألفاظ التزيين والتسويل للدلالة على هذه الخطوة، فما هو التزيين ، وما هو التسويل عند أهل اللغة ؟

التزيين والتسويل لغة :

التزييـن : الـزاء والـياء والنون أصل صحيح يدل على حسن الشيء وتحسينه، فالزين نقيض الشّـين، يقـال زينتُ الشيء تزييناً ، وازينت الأرض وازدانت: إذا حسنها عشْبها [2]،ومنه قوله تعالى:"...حتى إِذَا أَخَذَتِ الأَرض زخْرفَها وازينَتْ..." [3].

سـولَ : السين والواو واللام أصل يدل على استرخاء في شيء ، يقال : سولَ يسْولُ سولاً ، فأما قولهـم: سـولْتُ له الشيء ، إذا زينتُه له ، فيمكن أن تكون أعطيته سؤله، على أن تكون الهمزة

1- ونلفـت الانتـباه هنا أن هذا البحث يقوم بالحديث عن بواعث تلك المعصية ودواعيها في النفس وهي المرحلة الأولى من الخطوات ما قبل الزلل.

2 - معجم المقاييس في اللغة – لابن فارس – ص 467 .

3 - سورة يونس ، أية 24.

مدّينة[1].

فالكلمتان – بحسب اللغة – تجتمعان على معنى واحد، هو : تحسين المعصية وتسهيلها لفاعلها ، وإن كانـت هـناك فروق بين الكلمتين فهي فروق دقيقة، تتعلق بطريقة هذا التحسين ، وعلى أي حـال ، فالتسـويل ورد مرتبطاً بالشيطان مرة واحدة في كتاب ا ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ **إن الذين ارتدّوا على أدبارهم من بعدِ ما تبين لهم الهدى الشيطان سولّ لهم وأملى لهم** ﴾ [2].

فعن قتادة : "سول لهم : زين لهم " [3] ، وعن الحسن : " زين لهم خطاياهم " [4].

فالسـلف هـنا يسـاوون بين التسويل والتزيين باعتبار أن مؤداهما واحد ، ولكننا إذا نظرنا إلى المفسرين من أهل اللغة والبلاغة وجدنا عندهم زيادة تفصيل على هذا المعنى، فيقول أبو السعود:" أي سـهل لهـم ركـوب العظائم، من السول، وهو الاسترخاء ، وقيل السول المخفف من السؤل لاستمرار القلب، فمعنى سول له أمراً حينئذٍ : أوقعـه في أمنيته فإن السؤل الأمنية " [5] ، ويقول الطاهر بن عاشـور : "والتسويل : التسهيل وتزيين النفس ما تحرص على حصوله " [6].

نلاحـظ من خلال هذه الأقوال أن التسويل يتحدث عن معنى عميقٍ في النفس البشرية ، فالتزيين هـو تحسـين الباطل في نظر الإنسان فيسلكه ، وهذا المعنى يفهم من اللفظ اللغوي، وهو الحسن والتحسين، فالتزيين قلب الأمر الشائن حسناً في عقل المرء وقلبه ، أما التسويل فهو إما من السول بمعـنى الاسـترخاء والتّمطّـي ، أو من السؤل بمعنى الأمنية والطلب ، وإذا أردنا أن نبسط هذا المعنى في كلمات شارحة **نقول** :

ارتبطـت هذه الكلمة في موضع ذِكْرها الوحيد بلفظة الإملاء، والتي هي بمعنى التسويف وطول الأمـل ، وهو من الأمور المحببة إلى النفس ، بل هي من مداخل الشيطان إليها ، فإذا حبب طول الأمـل والخلـود إلـى نفس الإنسان حببت إليه الدنيا ، فتتنافر نفسه مباشرة مع دين ا ، والتزام أوامـره ، وهـنا يأتي دور هذه اللفظة بالتعاون مع الشيطان ، فالنفس الآن تدور بين حب الدنيا، والرغبة في اتباع دين ا ، وهي حين ترضي شهواتها تشعر بالألم والتأنيب في ترك أوامر ا ،

---

1 - المرجع السابق – ص 498 ، 499 .

2 - سورة محمد ، الآية 25 .

3 - جامع البيان – للطبري – م 13 – ج 26 – ص 72 .

4 - النكت والعيون – للماوردي – ج 5 – ص 303 .

5 - إرشاد العقل السليم – لأبي السعود – ج 7 – ص 99 .

6 - التحرير والتنوير – لابن عاشور – م6 – ج 12 – ص 238 .

فيأتـي الشـيطان ليسهل لها ارتكاب الإثم، ويذهب عنها هذا التوتر، فيشعرها بالاسترخـاء بهذا التسويل، ويعطيها أمنيتها التي طلبت على رضى زائف، واسترخاء كاذب .

وقـد ورد التزيين في كتاب ا في مواضع كثيرةٍ، منها ما هو عام، ومنها ما هو مقيد بالشيطان وبغيره ، وقد تحدث الألوسي عن هذه المعاني، حيث يقول : " التزيين له معانٍ :

أحدهـا إيجـاد الشـيء حسـناً مزيناً في نفس الأمر، كقوله تعالى : ﴿ **ولقد زينا السماء الدنْيا بِمصابِيح...**﴾[1]

والثاني : جعله مزيناً من غير إيجاد، كتزيين الماشطة للعروس

والثالـث : جعله محبوباً للنفس مشتهى للطبع، وإن لم يكن في نفسه كذلك ، وهذا إما بمعنى خلق الميل في النفس والطبع، وإما بمعنى تزويقه وترويجه في القول وما يشبهه، كالوسوسة والإغواء، وعلـى هذا يبنى أمر إسناده ، فإنه جاء في النظم الكريم تارة مسنداً إلى الشيطان ، كما في قوله تعـالى : ﴿ **فَلَـولا إِذْ جاءهم بأْسنا تضرعوا، ولكن قَستْ قُلُوبهم، وزين لهم الشيطان ما كانُوا يعملُون** ﴾ [2] .

وتارة إليه سبحانه كما في قوله تعالى :﴿ **كذَلك زينا لِكُل أُمةٍ عملَهم ...** ﴾ [3]، وتارة إلى البشر، كقولـه عـز وجل:﴿ **وكذَلك زين لِكَثيرٍ من الْمشْرِكين قَتْلَ أَولادِهم شُركاؤُهم لِيردوهم ...** ﴾[4] ، فـإن كـان بالمعـنى الأول فإسناده إلى ا تعالى حقيقة ، وكذا إذا كان بالمعنى الثاني بناء على المراد منه أولاً ، وإذا كان بالمعنى الثاني أو الثالث بناء على المراد منه ثانياً فإسناده إلى الشيطان أو البشـر حقـيقة ، ولا يمكن إسناد ما يكون بالإغواء والوسوسة إليه سبحانه كذلك . " [5] ، وقد توعـد إبلـيس أعداءه بتزيين الباطل لهم ،وذلك بما أودعه ا فيـه، وفي أتباعه، من قوى الشر والوسوسـة، يقـول تعـالى على لسان اللعين : ﴿ **قَالَ رب بِما أَغْويتَنِي لأُزيننَ لهم فِي الأَرض ولأُغْوِينـهم أَجمعِين** ﴾ [6] "، وكأن قوله بما أغويتني : خرج مخرج القسم ، كما يقال : با أو بعزة ا لأغوينهم. وعنى بقوله: ﴿**لأُزيننَ لهم فِي الأَرض**﴾ لأحسنن لهم معاصيك، ولأحببنّها إليهم

---

1 - سورة الملك ، الآية 5 .

2 - سورة الأنعام ، الآية 43 .

3 - سورة الأنعام ، الآية 108 .

4 - سورة الأنعام ، الآية 137 .

5 - روح المعاني – للألوسي – ج 5 – ص 220 .

6 - سورة الحجر ، الآية 39 .

في الأرض"[1] .

محاور التزيين :

ويعمل الشيطان في تزيينه العصيان لأعدائه على محورين أساسيين هما : تحبيب الباطل إلى النفس ، والتنفير من الحق .

يقـول ابن القيم : " ومن مكايده أنه يسحر العقل دائماً حتى يكيده ... فيزين له الفعل الذي يضره، حـتى يخـيل إليه أنه أنفع الأشياء ، وينفره من الفعل الذي هو أنفع الأشياء له، حتى يخيل له أنه يضـره ... فهـو الذي سحر العقول حتى ألقى أربابها في الأهواء المختلفة ... وزين لهم عبادة الأصنام ، وقطيعة الأرحام ، ووأْد البنات ، ونكاح الأمهات ، ووعدهم الفوز بالجنات ، مع الكفر بصـفات الـرب تعـالى وعلـوه وتَكلمِهِ بكتبه، ووضع لهم ذلك في قالب التنزيه ، وتَرك الأمر بالمعـروف، والنهي عن المنكر، في قالب التودد إلى الناس ، وحسن الخلق معهم ، والعمل بقوله ﴿**...عليكم أنفُسكُم ...**﴾ [2]، والإعراض عما جاء به الرسول – صلى الله عليه وسلم – في قالب التقليد ، والاكتفاء بقول من هو أعلم منهم ، والنفاق والمداهنة في دين الله في قالب العقل المعيشي الذي يندرج به العبد بين الناس"[3].

وقد أورد القرآن كثيراً من تلك الأمثلة التي زين فيها الشيطان الكفر والباطلَ لأعدائـه، فاتـبعـوه علـى مـا أراد ، فهؤلاء قوم سبأ يعبدون الشمس من دون الله ، فيقرر الحق سبحانه وتعـالى أن هـذه الفعلـة الشـنعاء إنمـا هـي مـن تزيـن الشيطان، يقول تعالى على لسان الهدهـد:﴿**وجدتُهـا وقومها يسجدون لِلشمس مِن دون اللهِ وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عـن السـبِيل فهم لا يهتَدون** ﴾ [4] فالشيطان زين لهم ما هم فيه من الكفر ، وصدهم عن طريق التوحيد [5] .

وفـي سورة النحل يقسم الحق سبحانه على هذه الحقيقة، ليؤكد لكل شاك دور الشيطان في ضلال البشر، فيقول : ﴿ **تاللهِ لقد أرسلنا إلى أُممٍ مِن قبلِك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو**

---

1 - جامع البيان – للطبري – م 8 – ج 14 – ص 42 .

2 - سورة المائدة – الآية 105 .

3 - إغاثة اللهفان – لابن القيم – ج 1 – ص 130 .

4 سورة النمل ، الآية 24 .

5 - انظر : الجامع لأحكام القرآن – للقرطبي – ج 13 – ص 185 .

ولـيهم الـيوم ولهم عذاب أليم ﴾ [1] ، " أي حسن لهم الشيطان ما كانوا عليه مقيمين من الكفر با ، وعبادة الأوثان ، حتى كذبوا رسلهم ، وردوا عليهم ما جاءوهم به من عند ربهم " [2] .

وفي خِضم هذا التيار الجارف من تزيين الباطل الذي لا ينفك الشيطان عن إرساله على أعدائـه ، يحمل إليهم المحور الآخر من التزيين ، وهو ليس تزييناً مباشراً للعمل ، بل هو لازم ذلـك التزيين ، وهو المحور الثاني الذي ذكرناه قبيل قليل ، ألا وهو التنفير من الحق ، فصاحب الهوى وحب الدنيا بعيد بالضرورة عن الحق وحبه ، بل إن الشيطان يعمد في بعض الأحيان إلى بـدءِ رحلـة الخطوات مع المؤمنين خاصة بالتنفير من اتباع الحق ، ومن إظهار الخير في غير اتباعه ، أما على وجه العموم فهو يعمد إلى تزيين الباطل أولاً، مما يؤدي إلى التنفير من الحق.

لطائف في تزيين الشيطان :

مـر بـنا قوله تعالى : ﴿ **وعاداً وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمـالهـم، فصـدهـم عـن السبيل، وكانوا مستبصرين** ﴾ [3] ، في معرض الحديث عن حب الدنيا ، ولكنـا نقف هنا وقفة تأمل وتدبر لفاصلة الآية (مستبصرين)، فهي تدل على أن هؤلاء الأقـوام كـانوا أولي ألبابٍ وبصائر ، وقد وهبهم ا دقة النظر والتفكير، يقول الفراء : " كانوا عقـلاء ذوي بصـائر " [4]، ويقول الزمخشري : " وكانوا مستبصرين عقلاء متمكنين من النظر والافتكار ، ولكنهم لم يفعلوا أو كانوا متبينين أن العذاب نازل بهم، لأن ا تعالى قد بين لهم على ألسنة الرسل عليهم السلام ، ولكنهم لَجُوا حتى هلكوا " [5] ، فهذان قومان من أشهر الأقوام البائدة وأكبرها ، يمنحهم ا العقل، وسداد النظر ، فيأتيهم الشيطان من هذا الباب ، باب العقل ، فيغريهم بعقولهـم، فَـيلجوا ويجـادلوا فيهلكوا ، وما نريد قوله: إن هذا باب كبير واسع من أبواب تزيين الشـيطان العمـل للإنسان ، فكم من علماء ومفكريـن وأدبـاء سقطوا في مراتـع عقولهم لما تركوا الاحتكام إلى شرع ا ، فالشيطان يأتي لمثل هؤلاء من باب تزيين قوة العقل ، ويدعو إلى الافتـتان بهـا ، ومـا تلـك الأفكـار الباطلة التي انتشرت في عالمنا اليوم ، أمثال الشيوعية ، والوجوديـة ، وتحريـر المرأة، والرأسمالية، وغيرها، إلا مثال حي على فتنة العقل أهله بتزيين

---

1 - سورة النحل ، الآية 63 .

2 - جامع البيان – للطبري – م 8 – ج 14 – ص 160 .

3 - سورة العنكبوت ، الآية 38 .

4 - تفسير البغوي – ج 3 – ص 467 .

5 - الكشاف – للزمخشري – ج 3 – ص 458 .

الشيطان ، فكم من مفكر غَرّه عقله حتى أوصله إلى الهلاك والكفر با ، فهذه فتنة جرفت كثيراً مـن البشر في غمارها في عصرنا هذا ، وإنما كل ذلك من تزيين الشيطان ، ويحسن بنا هنا أن نشـير إلى ما للعقل الذي تحرر من قيود الهوى والشيطان من عظيم الأثر في إثبات حقائق الدين والدفاع عنه وإحقاق الحق وإبطال الباطل .

المطلب الثاني : الإنساء

لا يدخر الشيطان جهداً في اقتناص كل ما مِن شأنه أن يوقع أعداءه في حبائله ، فهو – كمـا ذكـر الحـق سبحانه عنه –: ﴿ **ثُم لَآتِينهم مِن بينِ أَيدِيهم ومِن خَلْفِهِم وعن أَيمانِهِم وعن شَمائِلِهِم، ولا تَجِد أَكْثَرهم شاكِرِين** ﴾[1] ، ومن تلك الخطوات التي يعمد إبليس وجنده إلى زرعها في قلب عدوه إنساؤه الحقّ ، ومحاولة صرفه عن أوامر ا ما أمكنـه ذلـك ، يقـول تعالـى : ﴿ **استَحوذَ عليهم الشيطَان فَأَنْساهم ذِكْـر اللهِ، أُولئِـك حـِزب الشيطَانِ، أَلا إِن حِزب الشيطَانِ هـم الْخَاسِرون**﴾[2] "قوله (فأنساهم ذكر ا) : أي أوامره في العمل بطاعته ، وقيل : زواجره في النهي عن معصيته، والنسـيان قد يكـون بمعنى الغفلـة، وقد يكون بمعنى الترك، والوجهان محـتملان هنا [3] ، فهذا هو هدف الشيطان إنساء أعدائه كل ما يربطهم بطريق الخلاص من هذه الدنيا.

ويحـذر تعالى من استمرار النسيان عند العبد، فيصير غفلةً تميت القلب ، فيخاطب الرسول – صلى ا علـيه وسلم – قائلاً : ﴿ **وإِذَا رأَيتَ الَّذِين يخُوضون فِي آياتِنَا فَأَعرِض عنْهم حتى يخُوضوا فِي حدِيثٍ غَيرِهِ، وإِما ينْسِينك الشيطَان فَلا تَقْعد بعد الذِّكْرى مع الْقَومِ الظَّالِمِين** ﴾[4] " أي : وإن أنساك الشـيطان نَهيـنا إياك عن الجلوس معهم ، والإعراض عنهم في حال خوضهم في آياتنا، ثم ذكرت ذلك، فقم عنهم، ولا تقعد بعد ذكرك ذلك مع القوم الظالمين الذين خاضوا في غير الذي لهم الخوض فيه"[5].

في الآية إشكال :

الظاهر من سياق الآية أنها في حق النبي – صلى ا عليه وسلم ، وإذا كان الأمر كذلك

---

1 - سورة الأعراف ، الآية 17 .

2 - سورة المجادلة ، الآية 19 .

3 - الجامع لأحكام القرآن – للقرطبي – ج 17 – ص 309 .

4 - سورة الأنعام ، الآية 68 .

5 - جامع البيان – للطبري – م 5 – ج 7 – ص 285 .

ورد إشكال على الإنساء هنا ، فالإنساء في الآية مسنَد إلى الشيطان، وهو في حق النبي – صلى الله عليه وسلم - ، فهل ينْسي الشيطان الأنبياء ؟

هذا الخطاب في شأن النبي عليه الصلاة والسلام على سبيل الفرض لا التحقيق، لوقوع مـا يحـذّر مـنه تعـالى، إذْ لا سبيل للشيطان على الأنبياء، كما يقول الألوسي : " وإما ينسينك الشـيطان، بـأن يشغلك فتنسى الأمر بالإعراض عنهـم، فتجالسهم ابتداء أو بقاء ، وهـذا على سبيل الفرض، إذ لم يقع ، وأنى للشيطان سبيل إلى إشغال رسول الله – صلى الله عليه وسلم؟، – ولـذا عـبر بـ (إن) الشرطية المزيدة (ما) بعدها " [1]، "ويجوز وقوع النسيان على النبي – صلى الله عليه وسلم – بغير وسوسة الشيطان، لقولـه تعالى ﴿ **واذْكُر ربكَ إذَا نَسِيتَ** ﴾[2] ، وقد وقع النسيان من آدم–عليه السلام- : ﴿ **ولقَد عهدنَا إلى آدم مِن قَبلُ فَنَسِي ولَم نَجِد له عزماً** [3]، ومن موسى – عليه السلام - : ﴿ **قَالَ لا تُؤَاخِذْنِي بِما نَسِيتُ ولا تُرهِقْنِي مِن أَمري عسراً** ﴾[4] ، وثبـت في كتب السنة أن النبي – صلى الله عليه وسلم – سها في الصلاة، وقال : (إنما أنا بشر مـثلكم أنسى كما تَنْسون، فإذا نسيت فذكِّروني) [5] ، وأما في تبليغ الوحي والدين المنَّزل من الله – سبحانه وتعالى – فإن الأنبياء معصومون عن نسيان شيء مما أمرهم الله بتبليغه من حلال أو حرام ، لقوله تعالى : ﴿ **لا تُحرك بِهِ لِسـانَكَ لِتَعجلَ بِهِ*إن علينَا جمعه وقُرآنَه*فَإذَا قَرأْنَاه فَاتبِع قُرآنَه*ثُم إن علينَا بيانَه** ﴾[6] "[7].

إن الشيطان يعمل دوماً في لإيقاع أعدائه في نسيان ما أمرهم الله به ، أو ما نهاهم عنه، ولـو للحظـة واحـدة، علّه يفَوتُ عليهم خيراً أراده الله لهم ، أو يوقعهم في شَر كرهه الله لهم ، فالنسيان المذموم يكون من الشيطان بإلهاء العبد، وإشغاله عن الطاعة والعبادة ، أو بإنسائه أوامر الله مـن حلال و حرام، فيدفعه إلى ارتكاب ما نهى الله عنه، فقد حاول جهده أن ينسي فتى نبي الله موسى – عليه السلام – حوتَهما.

---

1 - روح المعاني – للألوسي – ج 5 – ص 265 .

2 - سورة الكهف ، الآية 24 .

3 - سورة طه ، الآية 115 .

4 - سورة الكهف ، الآية 73 .

5 - وهذا الحديث مخرج بطوله في البخاري عن علقمة عن عبد الله : موسوعة الحديث الشريف – الكتب الستة – صحيح البخاري – كتاب الصلاة – باب : التوجه نحو القبلة – ص 34 – ح 401 .

6 - سورة القيامة ، الآيات 16 – 19 .

7 - التفسير المنير – للزحيلي – ج 7 – ص 248 .

يقول الطاهر بن عاشور : " ومع كون المنسي أعجوبة شأنها ألا تُنسى ، يتعين أن الشيطان ألهاه بأشـياء عن أن يتذكر ذلك الحادث العجيب ، وعلِم يوشع أن الشيطان يسوؤه الْتقاء هذين العبدين الصـالحين ، ومـا له من الأثر في بث علوم الصالحة ، فهو يصرف عنها، ولو بتأخر وقوعها طمعاً في حدوث العوائق " [1].

وقـد يقع الإنساء على الأنبياء فيما لا يؤثر على الوحي أو التشريع – كما أسلفنا - ، وهذا مـا وقـع علـى نبـي ا يوسف – عليه السلام – ،حيث أنساه الشيطان تعليق خروجه من السجن بالمشيئة، فتأخر بضع سنين ﴿ **وقالَ لِلذِي ظَن أَنه نَاجٍ مِنْهما اذْكُرنِي عِنْد ربك فَأَنْساه الشيطان ذِكْر ربـهِ فَلَبِـثَ فِـي السجنِ بِضع سِنِين** ﴾ [2] وقـد اختلـف المفسـرون في عود الضمير في كلمة (فأنسـاه) هـل هو إلى يوسف – إذ لم يعلق خروجه من السجن على مشيئة ا – أو إلى الناجي ، ولهـم في ذلك كلام كثير يطول المقام بذكره هنا ، والفيصل في هذا الأمر حديث النبي – صلى ا علـيه وسـلم – الـذي ضعفه ابن كثير ، وأخذ به آخرون ، فقد ورد هذا الحديث بنحوه من طريق أخرى في صحيح ابن حبان [3]، وقد أورده الألباني أيضاً في صحيح الجامع [4]، فهذا الحديث يقرر أن يوسف – عليه السلام – نسي ذكر ربه، فكان ذلك سبباً في طول مكثه في السجن .

الإنساء في عصرنا الحاضر :

هذه خطوة لطالما أوقعت عباداً في شَرك البعد عنه، ونسيان فرائضه، وقد تولّى كِبر هـذه الخطـوة فـي عصرنا هذا شياطين الإنس بما لهم من دوي عجيب على أصدقائهم ، وهم يتسـللون إلى ذلك المأرب من باب الرفقة والصحبة، فكم من صديق ألهى صديقه عن ذكر ا ، وأغفلـه عـن حدوده ، وقد اتخذتْ هذه الظاهرة شكلاً منظماً في العقود الأخيرة ، فأنشِئَت لأجلها المـؤسسـات ، والجمعيات ، ودور الشبـاب، مِمن يعمدون إلى شغل أوقات فراغ الشباب بغير ذكـر ا ، وتضـييعها فيما يغضب ا – عز وجل - ، فيجب على كل إنسان أن يحذَر من هذه الخطـوة أشد الحذر، ولا ينزلق في متاهاتها ، ورائده في ذلك الرفقة الطيبة ، والبعد عن كل ما من شأنه أن يلهيه عن ذكر ا ، ولذا نوصي الشباب خاصة بعدم النشأة على مائدة الوحدة، كي لا يكونوا أكثر عرضة للانجراف في تيارات شياطين الإنس ، بل عليهم أن يلزموا الرفقة الصالحة،

---

1 - التحرير والتنوير – لابن عاشور – م 7 – ج 15 – ص 367 .
2 - سورة يوسف ، الآية 42 .
3 - صحيح ابن حبان – ج 14 – ص 86 – ح 6206 .
4- صحيح الجامع الصغير – ج 2 – ح 3984 .

فالمرء بإخوانه ، وقد أحسن بعض المسلمين الدعاة العاملين حين قاموا بمحاكاة تلك الدور الشبابية فصبغوها بصبغة الإسلام وجذبوا إليها الشباب حتى ينشئوهم على الرفقة الصالحة والنشاطات البناءة .

المطلب الثالث : التمنية والإملاء :

يستمر الشيطان في نصب حبائله لأعدائه بخطوة تلو الأخرى ، أو بمجموعة من الخطوات معاً ، بحسب ما يقتضيه حال عدوه ، فهو يزين وينسي ، وها هو يربط عباد ا من الجن والإنس بأكذوبة كبرى، هي خديعة الخلود قبل البعث ، تلك الحقيقة التي لا ينكرها أدنى الخلق في قرارة نفسه ، ولكن الشيطان يتخذ إلى إيقاعها في النفس سبيل التمنية، وبناء الأحلام الكاذبة في نفوس الخلائق الذين يجد إلى نفوسهم سبيله من مدخل حب الخلود والملْك .

وقد وقع كثير من الخلق في شباك هذه الخطوة الشيطانية ، فأحبوا الدنيا وعملوا لها عمل الخالد فيها الملازم لها ، وتركوا في المقابل العمل لآخرتهم ، وقد بين الحق سبحانه أن هذا الإملاء والتسويف هو من فعل الشيطان، يقول تعالى : ﴿ **إن الذين ارتَدوا على أدبارِهم من بعدِ ما تَبين لهم الهدى الشيطان سولَ لهم وأَملى لهم** ﴾ [1] " ، (وأملى لهم) أي ومد لهم الشيطان في الأماني والآمال ، ومعنى المد فيها : توسيعها، وجعلها ممدودة في نفسها، أو بزمانها، بأن يوسوس لهم بأنكم تنالون في الدنيا كذا وكذا مما لا أصل له، حتى يعوقهم عن العمل، وأصل الإملاء : الإبقاء ملاوة من الدهر، أي برهة ، ومنه قيل : المعنى وعدهم بالبقاء الطويل" [2] .

والشيطان – كما ذكرنا – يتبع في بلوغ هذه الغاية وتحصيلها في قلب الإنسان سبيل التمنية بالباطل ، فهو ما يفتأ يعظم الدنيا في قلوب البشر ، ويهيئ لهم أنها الفوز العظيم، حتى ينجرفوا فيها، ويقعوا في سلسلة خطواته الموصلة إلى الغفلة عن الحق، ومرض القلب، والكفر با ، والموت على ذلك ، وقد توعد اللعين بهذه الخطوة أن يسوم بها أعداءه، فقال : ﴿ **ولأضِلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فَليبتكُن آذَان الأَنْعامِ ولآمرنهم فَليغَيرن خَلْقَ اللهِ ومن يتخِذِ الشيطَان ولياً من دون اللهِ فَقَد خَسِر خُسراناً مبِيناً * يعِدهم ويمنيهم وما يعِدهم الشيطَان إِلا غُروراً** ﴾ [3]

"إنهم يدعون الشيطان -عدوهم القديم، – ويستوحونه، ويستمدون منه هذا الضلال ، ذلك الشيطان

---

1 - سورة محمد ، الآية 25 .

2 - روح المعاني – للألوسي – ج 14 – ص 112 .

3 - سورة النساء ، الآية 119 ، 120 .

الـذي لعنه الله ، والذي صرح بنيته في إضلال بني آدم إلا المخلصين منهم ، وتمنيتهم بالأمنيات الكاذبـة فـي طـريق الغواية ، من لذة كاذبة ، وسعادة موهومة ، ونجاة من الحساب في نهاية المطـاف... إنهـا حالـة استهواء معينة هي التي يزين فيها الشيطان للإنسان سوء عمله ، فيراه حسـناً، ويعده السبق والسعادة في طريق المعصية، فيعدو معه في الطريـق ، ويمنيـه النجـاة من عاقبة ما يعمل ، فيطمئن ويمضي في طريقـه إلـى المهلكة ، وحين يرتسم المشهد على هذا الـنحو ، والعـدو القديـم يفتـل الحبال، ويضـع الفخّ ، ويسـتدرج الفريسـة ، ولا تبقـى إلا الجِـبلاّتُ الموكوسـة المطموسـة هـي التي تظل سادرة لا تستيقظ ، ولا تتلفت، ولا تحاول أن تعـرف إلى أي طريق تُساق ، وإلى أية هوة تُستهوى " [1] .

"كم خطر على قلب يهودي ونصراني حب الإسلام، فلا يزال إبليس يثبطه، ويقول له : لا تعجل ، وتمهـل في النظر ، فَيسوفُه حتى يموت على كفره ، وكذلك يسوف العاصي بالتوبة ، فيجعل له غرضـه مـن الشهوات ، ويمنيه الإنابة . وكم من عازم على الجد سوفه ، وكم ساعٍ إلى فضيلة ثـبطه ، فلـربما عـزم الفقيه على إعادة درسه ، فقال : استرح ساعة ، أو انتبه العابد في الليل يصلي ، فقال له : عليك وقت طويل فنم.

ولا يزال يحبب الكسل ، ويسوف العمل ، ويسند الأمر إلى طول الأمل، فينبغي للحازم أن يعمـل على الحزم ، والحزم تدارك الوقت ، وترك التسويف والإعراض عن الأمل ... وقال بعض السلف : أُنْذِركُم (سوف) فإنها أكبر جند إبليس " [2].

ولا ينفـك إبليس وجنده عن تمنية العبد حتى في سكرات موته " إن إبليس لا يكون في حال أشدَ منه على ابن آدم عند الموت ، يقول لأعوانه : دونكموه، فإنه إن فاتكم اليوم لم تلحقوه ، وقـد يستولي على الإنسان حينئذٍ، فيضله في اعتقاده، وربما حال بينه وبين التوبة ، وربما منعه من الخروج من مظلمة ، أو آيسه من رحمة الله ، يقـول لـه : قد أقبلَتْ إليك سكرات الموت لا تطيقها الجبال ، ونزع شديد ، وقد كان يمكن أن يرفق بك ربك ... " [3].

المطلب الرابع : التخويف من الفقر والموت :

يمضـي الشـيطان في خطواته الماكرة الرامية إلى إيقاع أعدائه في الغواية، ومن تلك الخطـوات تخويـف أعدائه من الفقر والموت ، فالشيطان يعمل على تعميق نقاط الضعف ، التي

---

1 - في ظلال القرآن – لسيد قطب – ج 2 – 761 .

2 - تلبيس إبليس – لابن الجوزي – ص 408 .

3 - الثبات عند الممات – لابن الجوزي – ص 129 – 132 .

ذكـرنا من قبل ، كي تبلغ مبلغها في قلب الإنسان ، فهو يعمل على إذكاء حب الدنيا والملك فيها فـي قلوب بني البشر، كي يقلب تلك النقاط الضعيفة إلى أعداء على الإنسان، وأعوان للشيطان، تؤدي غرضها في إيقاعه في ارتكاب المحرمات :

أولاً : التخويف من الفقر :

يقـول تعـالى : ﴿ **الشيطَان يعِدكُم الْفقْر ويأْمركُم بِالْفَحشَاءِ والله يعِدكُم مغْفِرةً منْه وفَضلاً والله واسِـع علِـيم** ﴾ [1] ، " والوعـد في أصل وضعه لغة شائع في الخير والشر ، وأما في الاستعمال الشـائع فالوعد في الخير، والإيعاد في الشر، حتى يحملوا خلافه على المجاز والتهكم ، وقد استُعمل هـنا فـي الشر نظراً إلى أصل الوضع، لأن الفقر مما يراه الإنسان شراً ، ولهذا يخوف الشيطان به المتصـدقين، وقـد جـاء سبب نزول الآيات ليبين تلك الحقيقة المغروسة في نفوس الكثير ممن لم يحاربوهـا ، فعمقها الشيطان فيهم ، فقد أخرج ابن جرير عن عطاء قال : " علّـق إنسان حشَفاً [2] فـي الأقنـاء[3] التـي تُعلّـق بالمدينـة : فقـال رسول الله ﷺ (ما هـذا ؟ بئسما علّـق هـذا) فنزلـت ﴿**ولا تَيممـُوا الْخَبِيـثَ مِنـْه تُنْفِقُون ...**) [4] وما بعدها . " [5].

وقد أجاد سيد قطب في الحديث عن هذه الخطوة من خطوات الشيطان، وأبان ما لها من أثر على الـنفس ، وعلـى المجـتمع بارتكاب الفواحش ، فقال : "ولما كان الكف عن الإنفاق ، أو التقدم بالرديء الخبيث ، إنما ينشأ عن دافع السوء، وعن تزعزع اليقين فيما عند الله – سبحانه وتعالى، – وعن الخوف من الإملاق الذي لا يساور نفساً تتصل بالله ، وتعتمد عليه ، وتدرك أن ما عندها إلـيه ... كشـف الله للذين آمنوا عن هذه الدوافع، لتبدو لهم عارية ، وليعرفوا من أين تنبت في الـنفوس ، ومـا الذي يثيرها في القلوب ... إنه الشيطان ... الشيطان يخوفكم الفقر ، فيثير في

---

1 - سورة البقرة ، الآية 268 .

2 - الحشـف مـن الـتمر : ما لم ينْو ، فإذا يبس صلب وفسد ، لا طعم له ولا لحاء ولا حلاوة – لسان العرب لابن منظور – ج 9 – ص 47 .

3 - القـنو : العِذق بما فيـه من الرطب ، وجمعه أقناء وقنوان – لسان العرب – لابن منظور – ج 15 – ص 204 .

4 - سورة البقرة ، الآية 267 .

5 - الـدر المنثور – للسيوطي – ج 2 – ص 59 ، وقد ورد هذا الحديث بألفاظ متقاربة في كتب السنن فقـد أخرجه أبو داود في سننه – موسوعة الحديث الشريف – الكتب الستة – سنن أبي داود – كتاب الـزكاة بـاب : مـا لا يجوز من الثمرة في الصدقة – ص 1343 – ح 1607 ، ذكره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب – ج1 – ص 879.

نفوسـكم الحرص والشح والتكالب . و الشيطان يأمركم بالفحشاء، والفحشاء كل معصية تفحش ، أي تتجاوز الحد ، وإن كانت قد غلبت على نوع معين من المعاصي، ولكنها شاملة، وخوف الفقر كـان يدعو القوم في جاهليتهم لوأد البنات، وهو فاحشة ، والحرص على جمع الثروة كان يؤدي ببعضـهم إلـى أكل الربا وهو فاحشة ، ... على أن خوف الفقر، بسبب الإنفاق في سبيل ا في ذاته فاحشة... وحين يعدكم الشيطان الفقر ويأمركم بالفحشاء، يعدكم ا المغفرة والعطاء "[1].

ثانياً : التخويف من الموت :

تلـك هي المرحلة الثانية في خطوة الشيطان الرامية إلى تخويف أعدائه ، تلك مرحلة أشد علـى الإنسـان ، وأيسـر على الشيطان ، وهذا هو المدخل الثاني الذي ذكرنا من قبل ، وهو حب الخلود في هذه الدنيا ، فمنه يلج الشيطان على الإنسان، ويخَوفُه كل ما من شأنه أن يفوت عليه دقيقة يعيشـها في الدنيا ، أو يذهب روحه، وينهي أجله ، وهي مرحلة يتمسك بها الإنسان حتى آخر رمق فـي حـياته ، إن هو لم يتصل با ، حتى لو أُصيب بالفقر المدقع فيبقى متمسكاً بهذه الدنيا ، ولقد تحـدث ا - سبحانه وتعالى – عن هذه المعاني في سياق آيات غزوة أُحد ، فتلك آيات عظيمات في المعاني ، شديدات على المنافقين ، كبت[2] ا فيها المتقاعسين عن الجهاد خشـية الموت ، وبين أن الأجل محتوم عند بارئهم من قبل أن يردوا إلى هـذه الأرض.

ويبـدأ هذا السياق بقوله تعالى :﴿ **ولقد صدقكُم الله وعده ...**)[3] ، وتستمر الآيات في الحديث عن أُحـدٍ ، وتركز على قضية الأجل ، والخوف من الموت ، ثم تنتهي بآية خاتمة فيها جماع ذلك الأمر كله ، آية فيها قصر يلف ذلك النشر كله في حصرٍ ﴿ **إنما ذَلكُم الشيطان يخَوفُ أَولياءه فلا تَخَافُوهم وخَـافُون إِن كُنْـتُم مؤْمِنِيـن** ﴾ [4] ومفهوم هذا القصر : أي ما كان منكم من خوف من الموت إذا خرجـتم إلى المعركة ، وما كان منكم من تخلف عن الجهاد خشية الموت ، وما كان منكم من تثبيط لإخوانكـم عن الخروج ، وما كان منكم من تهكم على الشهداء الذين ضيعوا حياتهم بزعمكم ... كل ذلـك إنما هو فقط ، وحصراً ، من الشيطان، وبسبب وساوسه وتسويله ، فهو الذي يقذف في قلوبكم حب الدنيا، ويخوفكم من مفارقتها.

---

1 - في ظلال القرآن – لسيد قطب – ج 1 – ص 312 .

2 - الكبت: الصـرف والإذلال، وكبته : أي كسره وأخزاه ورده بغيظه– لسان العرب– لابن منظور– ج 2– ص76.

3 - سورة آل عمران ، الآية 152 .

4 - سورة آل عمران ، الآية 175 .

فالشـيطان خبر (ذلكم) بمعنى : إنما ذلكم المثبط هو الشيطان (يخوف أولياءه) جملة مستأنفة بـيان لتثبـيطه ... أما قوله تعالى (يخوف أولياءه)، فالشيطان يخوف أولياءه الذيـن يطيعونـه، ويؤثـرون أمـره ، فأما أولياء الله فإنهم لا يخافونه إذا خوفهم، ولا ينقادون لأمره ومراده منهم، وهذا قول الحسن والسدي [1].

لطائف اجتماعية في هذه الخطوة :

تبرز هذه الخطوة في الأوقات التي تشتد فيها الحرب على دين الله ، وتتمزق أوصال أمة الإسـلام ، وتُدخَلُ عليهم ديارهم من أقطارها ، فحينها يبدأ المسلمون المخلصون الصادقون برفع لـواء الجهاد في سبيل الله ، للذود عن حياض هذا الدين، فيكثر الاستشهاد في سبيل الله ، وحينها فقـط ينشـط عـدو الله إبليس حاملاً معه تلك الخطوة، مخوفاً المسلمين من عواقب الانخراط في صفوف المجاهدين ، ومخوفاً إياهم من تبعة الوقوف أمام الباطل من فقد للمال، وضيق في الحال.

يقول سفيان الثوري : " ليس للشيطان سلاح مثل خوف الفقر، فإذا قُبل ذلك منه أخذ في الباطل، ومنع من الحق ، وتكلم بالهوى ، وظن بربه ظن السوء " [2].

وها نحن أولاء في ديارنا فلسطين نشهد مثل هذه الحرب بين أهل الإيمان والجهاد من جهة، وبين الشيطان وجنده من جهة أخرى ، فهو في هذه الأيام أشد ما يكون دخولاً على الناس من بابي حب الدنـيا والخلود فيها، أو خوف الفقر والموت ، ولخطورة هذه القضية ، خصوصاً في وقت الجهاد فـي سـبيل الله ، فقـد أكد الحق سبحانه هاتين القضيتين في كثير من آيات الكتاب العظيم، ففي الـرزق يقول : ﴿ **وفي السماءِ رِزقُكُم وما تُوعدون * فَورب السماءِ والأرضِ إنه لحق مِثْلَ ما أَنكُم تَنْطِقُون**﴾[3]، وفي الأجل يقول:﴿ **وما كان لِنَفْسٍ أَن تَموتَ إلا بِإِذْنِ اللهِ كِتَاباً مؤَجلاً .** ﴾[4]، وقـد ورد في سنة النبي – صلى الله عليه وسلم – الكثير من الأحاديث المؤكدة على حتمية هاتين القضـيتين؛ إمـا كـل على حدة، أو مجتمعتين؛ ومن ذلك ما أخرجه الطبراني عن أبي أمامة أن رسـول الله صلى الله عليه وسلم قال : "نفث روح القدس في روعي أن نفسا لن تخرج من الدنيا حـتى تسـتكمل أجلهـا، وتستوعب رزقها، فأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن

1 - انظر : التفسير الكبير – للرازي – ج 5 – ص 83 .
2 - المستخلص في تزكية الأنفس – لسعيد حوى – ص 161 .
3 - سورة الذاريات ،الآيتان 22 ، 23 .
4 - سورة آل عمران ، الآية 145 .

تطلبوه بمعصية ا ، فإن ا لا ينال ما عنده إلا بطاعته" [1].

المطلب الخامس : النزغ والمس

هـذه هي المحطة الأخيرة في سلسلة خطوات الشيطان ما قبل اكتساب الإثم ، فلما كان مسـرح الخطـوات الأولـى هو النفس والقلب ، فإن مسرح هذه الخطوة المزدوجة هو الجسد ، فالشـيطان يعمـد فـي بعض الأحيان إلى التسلط على جسد الإنسان وقيادته في طريق الإثم إن استعصى عليه باب النفس والقلب ، أو إن كان هذا الباب بالنسبة لصاحبه أيسر من غيره ، وهذه الخطوة تتجسد على مرحلتين، تكون أولاهما أخف وطأة على الجسد من الأخرى.

أولاً : النزغ

اسـتعمل القـرآن الكريم في هذا المعنى ألفاظاً متعددة، ارتبطت كلها بالشيطان، وهي : النزغ ، الهمز ، الأز ، وسنتحدث عن هذه الألفاظ على التفصيل أولاً ، ثم على الإجمال ، إذ هي تصب كلها في معنى واحد.

مفهوم الهمز في كتاب ا :

وردت هـذه اللفظـة مرتبطـة بالشيطان في موضـع واحـد فـي كتـاب ا في سـورة المؤمـنـون: ﴿ **وقُـلْ رب أَعـُـوذُ بِك مِن همزاتِ الشياطِين * وأَعوذُ بِك رب أَن يحضرون**﴾ [2] .

وقـد ظهـر خلاف في معنى هذا الهمز المرتبط بالشيطان عنـد أهـل التفسير بين قائـل بأنه الوسوسـة ، وقائل إنه النزغ ، أي بيـن كونـه وسيلة لإلقـاء الخطوات، أو كونه خطوة تفضي إلى ما بعدها وهي الغضب ، ونود أن نستنير بأقوال أهل اللغة والتفسير في ذلك.

- الهمز : يقال همز رأسه يهمِزه همزاً : إذا غمزه ، وقد همزت الشيء في كفي، لقول رؤبة : ومـن همزنا رأسه تهشما ، وهمز الجوزة بيده يهمزها كذلك ، والهمز مثل اللمز ، وهمزه : دفعـه وضـربه ، وهمزتُه ولمزتُه ونهزتُه إذا دفعته ، والهمز : العصر ، والهمز : الغيبة والوقيعة في الناس، وذكر عيوبهم[2].
- " وأصـل الهمز الدفع ، قال أبو عبيد عن الكسائي : همزته ، ولمزته ، ولهزته وقهرته إذا دفعته ، والتحقيق: أنه دفع بنخز ، وغمز يشبه الطعن ، فهو دفع خاص ، فهمزات الشياطين:

---

1 - المعجم الكبير – للطبرانـي – ج 8 – ص 166 – ح 7694 ، وقد ذكره الألباني في صحيح الجامع – ج 1 – ح 2085 .

2 - لسان العرب – لابن منظور – ج 5 – ص 246 .

دفعهم الوساوس والإغواء إلى القلب.

- قـال ابـن عباس والحسن : (همزات الشياطين : نزغاتهم ووساوسهم) وفسرت همزاتهم بـنفخهم ونفثهم ، وهذا قول مجاهد ، وفسرت بخنقهم، وهو الموتة التي تشبه الجنون . وقد يقالَ وهو الأظهر: إن همزات الشياطين إذا أُفردت دخل فيها جميع إصاباتهم لابن آدم ، وإذا قُرنت بالنفخ والنفث كانت نوعاً خاصاً ، كنظائر ذلك " [1].
- " والشـيطـان يوسـوس، فيهمس في وسواسـه فـي صدر ابن آدم، وهو قوله (أعوذ بك من همزات الشياطين) أي نزغـات الشيطان الشاغلـة عـن ذكـر ا تعالى ... قال أبو الهيثم : إذا أسر الكلام وأخفاه، فذلك الهمس من الكلام "[2].
- "أي وساوسـه المغرية على خلاف ما أُمِرتَ به، وهي جمع همزة ، والهمز : النخس والدفع بـيد أو غـيرها... وإطلاق ذلك على الوسوسة والحث على المعاصي لما بينهما من الشبه الظاهر"[3].

ومـن مجموع هذه الأقوال نلاحظ مفارقة عجيبة بين المعنى اللغوي وبين ما ذهب إليه معظـم المفسـرين ، فأهل اللغة يجمعون على أن الهمز دفع ونخز ولمز، ولكنه بسرعة وخفاء ، وعلـى الـرغم من هذا المعنى الواضح للهمز في اللغة يحاول المفسرون تحويله إلى معنى خفي دقـيق هـو مجـرد الوسوسة ، وإن كان ذهب بعضهم إلى أكثر من ذلك بالحديث على آثار تلك الوسوسـة مـن تحريك للشر والغواية ، ويحاول البعض التوفيق بين الوسوسة والمعنى اللغوي فيقول إن الهمز دفع للوساوس في القلب، وهكذا .

مفهوم النزغ في كتاب ا :

وردت هـذه اللفظة في كتاب ا في أربعة مواضع[3] كلها مرتبطة بالشيطان، والنزغ : أن تـنزغ بيـن قوم، فتحمل بعضهم على بعض بفسادٍ بينهم ، ونزغ بينهم ينْزِغُ وينْزَغُ نزغاً : أغرى وأفسد، وحمل بعضهم على بعض ... والنزغ : شبه الوخز والطعن ، ونزغه نزغاً طعنه بيد أو رمح [4].

---

1 - إغاثة اللهفان – لابن القيم – ج 1 – ص 113 .

2 - الجامع لآيات الأحكام – للقرطبي – ج 12 – ص 148 .

3 - سـورة الأعـراف ، الآيـة 200 ، سورة يوسف ، الآية 100، سورة الإسراء ، الآية 53 ، سورة فصلت الآية 36.

4 - لسان العرب – لابن منظور – ج 8 – ص 454 .

والظاهـر مـن المعـنى اللغـوي أن النزغ بمعنى التحريك والاستفزاز وإثارة النفس ، وهو المعـروف بالغضب، يقول تعالى:﴿ **وإما ينْزغنك من الشيطان نزغٌ فاستعذْ بالله إنه سميع عليمٌ**﴾[1] ، " يعنـي جـل ثـناؤه بقوله: {وإما ينزغنك من الشيطان نزغ}: وإما يغضبنك من الشيطان غضب يصـدك عن الإعراض عن الجاهلين ويحملك على مجازاتهـم، فاستعذ بالله ، يقـول : فاستجر بالله من نزغه إنه سميع عليم" [2].

وقد جاءت مثيلة هذه الآية في سورة فصلت في سياق دفع العداوة والخصومة والغضب باللين والقول الحسن، حيث يقول تعالى فيها: ﴿ **ولا تستوي الحسنةُ ولا السيئةُ ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوةٌ كأنه ولي حميم * وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذُو حظ عظيمٍ * وإما ينْزغنك من الشيطان نزغٌ فاستعذْ بالله إنه هو السميع العليم** ﴾ [3] .

ويتضح معنـى النزغ جلياً في آية يوسف، حيث أبان – عليه السلام – أن ما وقع بينه وبين إخوته من إفساد إنما كان بسبب نزغ الشيطان ، أي تهييجه الأخوةَ بعضهم على بعض.

يقول تعالى : ﴿ **... وقالَ يا أبتِ هذا تأويلُ رؤْياي من قبلُ، قد جعلها ربي حقّاً، وقد أحسن بي إذْ أخْرجني من السجن، وجاء بكُم من البدو من بعدِ أن نزغَ الشيطان بيني وبين إخْوتي ...**﴾[4]

"أي أفسـد البعـيد المحترق بوسوسته التي هي كالنخس بيني وبين إخوتي، حيث قسم النزغ بينه وبينهم، ولم يفضل أحداً من الفريقين فيه" [5].

مفهوم الأز في كتاب الله :

وردت هـذه اللفظـة مـرة واحـدة في كتاب الله في قوله تعالى : ﴿ **ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤُزهم أزاً** ﴾ [6].

والأز : الهمـزة والزاي يدل علـى التحرك والتحريك والإزعاج . قال الخليل : الأز : حمل الإنسان الإنسان على الأمر برفق واحتيال ، والأز غليان القدر، وهو الأزيز ، قال أبو زيد:

---

1 - سورة الأعراف ، الآية 200 .
2 - جامع البيان – للطبري – م5 – ج 9 – ص 156 .
3 - سورة فصلت الآيات ، 34-36 .
4 - سورة يوسف ، الآية 100 .
5 - نظم الدرر – للبقاعي – ج 4 – ص 99 .
6 - سورة مريم ، الآية 83 .

الأز صوت الرعد ... يقال أزتنا ريح : أي ساقتنا [1] .

وفي الآيـة تأويلات متنوعة ومتقاربة :

فعـن ابـن عـباس: " تُغويهـم إغواء ، وعنه تحرضهم على محمد – صلى ا عليـه وسلم – وأصحابه ... وعن قتادة : تزعجهم إزعاجاً إلى معاصي ا .

وعن سفيان : تغريهم إغراء وتستعجلهم استعجالاً ، وعن السدي : تطغيهم طغياناً " [2].

ويقـول الزمخشـري : " الأز والهز والاستفزاز أخوات، ومعناها : التهييج وشدة الإزعاج، أي تُغريهم على المعاصي ، وتهيجهم لها بالوساوس والتسويلات ، والمعنى: خلينا بينهم وبينهم ، ولم نمنعهم .

والمـراد تعجيب الرسول – صلى ا عليه وسلم – بعد الآيات التي ذكر فيها العتاة والمردة من الكفـار وأقـاويلهم وملاحـاتهم ومعـاندتهم للرسل، واستهزاءهم بالدين من تماديهم في الغي ، وإفـراطهم في العناد ، وتصميمهم على الكفر ، واجتماعهم على دفع الحق بعد وضوحه، وانتفاء الشك عنه " [3].

ونلاحـظ هـنا أن الأز يكتسـب معنى زائداً على إثارة الغضب ، بل هو غضب قوي مستمر لا يـنقطع ، غضب صار لصاحبه ديدناً، فكلما ورد عليه شيء من الحق اشتعل رأسه،وانشغل عقله بالوسـاوس الشـيطانية، والفكر الباطل، فتثور ثائرة العقل عنده، وينطلق لسانه بالفحش والكيد ، وهـذا مـا نسـميه اليوم بالتعصب الأعمى لفكرة، أو مذهب، أو رأي، دونما دليل بين، أو حجة واضحة ، وهذا باب واسع الانتشار في عالمنا اليوم ، فحقاً هي شياطين تَؤُز الكافرين إليه أزاً .

يقول ابن عاشور : " شبه اضطراب اعتقاداتهم، وتناقض أقوالهم، واختلاق أكاذيبهم، بالغليان في صعود وانخفاض، وفرقعة وسكون" [4].

فهـذا وصف دقيق لحالهم ولأجسادهم المضطربة وعقولهم المتأججة وتخبطهم في غيهم ، وهو – أي الأز – داخل في معنى النزغ، بل ويزيد عليه استمرارية وعمقاً ، وهو داخل في معنى التهييج الجسـدي ، كمـا أسلفنا في هذه الخطوة ، فإنك ترى الواحد من هؤلاء المعاندين المجادلين أهل الـباطل وهـو يهـتز ويضطرب في حجاجه ولجاجه، وكأنما يحركه شيطان ، وهو فعلاً يحركه

---

1 - معجم المقاييس في اللغة – لابن فارس – ص 42 .

2 - تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – ج 9 – ص 295 .

3 - الكشاف – للزمخشري – ج 3 – ص 126 .

4 - التحرير والتنوير – لابن عاشور – م 8 – ج 16 – ص 165 .

شيطان ذاك الذي أخبر عنه رب العزة في الآية.

استنباطان مهمان :

1- مـن خلال تتبع السياق القرآني لكلمة (نزغ) تبين أن هذه الكلمة تأتي على هيئتين : إحداهما مـتعدية إلى مفعولها بنفسها ، والأخرى متعدية إلى مفعولها بالظرف (بين) ، **وفي الأمر إذاً تفصيل :**

أ- فـي آيتي الأعراف وفصلت تعدى الفعل (نزغ) إلى مفعوله بنفسه (ينزغنك) فيكون الـنزغ فـي نفـس المنزوغ به لا يتعداه إلى غيره ، وهنا يكون النزغ بمعنى الغضب، وإثارتـه في النفس ، وهذا المعنى ظاهر مع سياق الآيات في الموضعين ومتناسق معها، حيث تحدثتا عن العداوة الناشئة عن الغضب، وعن مقابلتها بالصفح الجميل.

ب- أمـا في الموضعين الآخرين لورود النزغ في سورتي يوسف والإسراء ، فجاء الفعل مـتعدياً إلى مفعوله بالظرف (بين)، ليدلّ على أن النزغ هنا حاصل بين طرفين ، فلا يكـون بمعـنى إثارة الغضب في النفس ، بل يتعدى هذا المعنى – وإن كان أساساً له – ليفيد إثارة العداوة ، وإيقاع الإفساد بين شخصين أو أكثر.

2- الـتدرج اللغـوي بين كلمات (همز) و (نزغ) و(أز) ، فكلها يحوي حرف الزاي الدالّ على الإزعاج والاهتزاز ، وهذا المعنى متحقق في بوادر الغضب عند الهمز ، وفي الغضب عند النزغ ، وفي شدة الغضب والتعصب عند الأز ، ثم يأتي التدرج في المعنى، فيبدأ بالهمز والـذي هو بداية مرحلة الغضب، فإلى جانب الزاي الدالة على الإزعاج والاهتزاز ، تحمل هـذه الكلمة حرف الهاء الدال على الخفاء والضعف ، ثم يرتقي التدرج إلى النزغ حين يقع الغضـب بدوافعه، فتذهب الهاء بخفائها، وتأتي الغين بجهرها ، ثم يستمر التدرج ليصل إلى أوجـه بـزيادة شدة الزاي في الكلمة الثالثة بالتضعيف، مما يوحي بشدة المعنى عما حملته الكلمـة الثانية (نزغ)، وهذا هو التدرج، حيث يبدأ الأمر بتحريك الغضب، ثم بحصوله ، ثم إذا اسـتمر هذا الغضب صار سجيةً لصاحبـه، تستثيره كلما ورد عليه ما يغضبه، فيتحول الأمـر إلـى تعصب للباطل طبعاً ، فيصير صاحبه وكأنما له ارتجاج وثوران عند ذكر هذا الأمر له.

ثانياً : المس :

إن هـذه هـي المرحلة الأشد والأعنف على الإنسان، حيث ينتقل الشيطان من السيطرة الآنـية أو الضعيفة على أعدائه إلى السيطرة الأقوى المسلطة على الجسد خاصة ، وقد ورد هذا المس في كتاب ا في ثلاثة مواضع ارتبطت بالشيطان ، وقد كان هذا الموضوع مثار جدلٍ كبير

بين العلماء ما بين مثبت له ونافٍ ، وهذا الأمر مبسوط في كتب العقائد.

يقـول ابن تيمية : " دخول الجن في بدن الإنسان ثابت باتفاق أئمة أهـل السنة والجماعة ، قال الله تعالى: ﴿ **الَّذِين يَأْكُلُون الربا لا يقُومون إِلا كما يقُوم الَّذِي يتَخَبطُه الشيطَان مِن الْمس** ﴾ [1].

وفـي الصـحيح عـن النبي –صلى الله عليه وسلم– إن الشيطان يجـري من الإنسـان مجرى الـدم[2]. وقـال عبد الله بن الإمام أحمـد بن حنبل قلت لأبي : إن أقواماً يقولون : إن الجني لا يدخل في بدن المصروع ، فقال : يا بني يكذبون ، هذا يتكلم على لسانه " [3].

وسـنتحدث في هذا البحث عما يتصل بحقائق القرآن حوله ، حيث يأتي هذا المس على ضربين: **أولهـا** : التأثـير النفسي، **وثانيهما** : التأثير البدني ، وقبل أن نفصل في هذين الضربين نذكر المعنى اللغوي للمس، كي نستقي منه المعاني القرآنية بعد ذلك :

المس : مسستُه بالكسر أمسه مساً ومسيساً : لمسته ، والمس: مسك الشيء بيدك ، ومسوا منها : أي خـذوا مـنها المـاء وتوضئُوا ، والمس الجنون ، ورجل ممسوس : به مس من الجنـون ، ومسـِس الـرجل إذا تخبط ، ومس المرأة وماسها : أي أتاها [4]، ومنه قوله تعالى عن شروط الكفـارة فـي الظهار: ".. من قَبلِ أَن يتَماسا.." [5] أي من قبل أن يباشرها ويتغشاها، أو يفضي إليها قضاء للوطر وإتياناً للحث.

أولاً : المس النفسي :

إن هـذا المـس هـو مـا ضرب الله له مثالاً بنبينا أيوب – عليه السلام– حيث يقول: ﴿**واذْكُـر عبدنَا أَيوب إِذْ نَادى ربه أَني مسنِي الشيطَان بِنُصبٍ وعذَابٍ**﴾[6] ، "أي : إذ نادى ربه بأني قد مسني الشيطان بمشقة نفسية وتعب وإعياء : من كثرة وساوسه، وإغراءاته، ووسائل كيده ومكـره ، ليدفعنـي إلى سوء الظن بك ، والطعن في حكمتك ، بسبب ما أنزلت بي من بلاء في مالـي وأهلـي وجسدي " [7] ، قلت : ولقد رأينا هذا الإعياء في نفوس كثير ممن أسلموا أنفسهم

---

1 - سورة البقرة ، الآية 285 .

2 - موسـوعة الحديث الشريف – الكتب الستة – صحيح البخاري – كتاب بدء الخلق – باب صفة إبليس وجنوده – ص265 – حديث3281.

3 - مجموع الفتاوى – لابن تيمية – ج 24 – ص 276 .

4 - لسان العرب – لابن منظور – ج 6 – ص 216 ، 217 .

5 - سورة المجادلة ، آية 3 .

6 - سورة ص ، الآية 41 .

7 - معارج التفكر – للميداني – ج 3 – ص 580 .

للشـيطان ، ورأيـنا كـيف علت وجوههم الكدرة والغم والهم جراء طغيان وساوس الشيطان ، وتزييـنه الحياة الدنيا لهم ، وتمنيتهم بطول الأمل، حتى قادتهم تلك النفوس المريضة إلى معصية ا ، والانزلاق في الهوى، وإتباع الشيطان.

ثانياً : المس الجسدي :

هـو ما عناه الحق سبحانه في قولـه تعالـى : ﴿ **الذيـن يأكلـون الربا لا يقومون إلا كمـا يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ...** ﴾ [1] ، " أي : يتخبله الشيطان في الدنيا ، وهو الذي يخنقه، فيصرعه من الجنون .

فعن سعيد بن جبير قال : يبعث آكل الربا يوم القيامة مجنوناً يخنق .

وعن قتادة : هو التخبل الذي يتخبله الشيطان من الجنون " [2] .

وقد فصل الرازي معنى التخبط وعلاقته بالمس، حيث يقول : " التخبط معناه الضرب على غير اسـتواء ، ويقـال للـرجل الذي يتصرف في أمر، ولا يهتدي فيه : إنه يخبط خبط عشواء ... وتخـبطه الشـيطان : إذا مسه بخبل أو جنون، لأنه كالضرب على غير استواء ، وتسمى إصابة الشـيطان بالخبل والجنون خبطة ، ويقال : به خبطة من جنون . والمس : الجنون ، يقال : "مس الرجل فهو ممسوس أي به مس ، وأصله من المس باليد ، كأن الشيطان يمس الإنسان فيجنه ، ثم سـمي الجـنون مسـاً ، كما أن الشيطان يتخبطه ويطأه برجله فيخبله ، فسمي الجنون خبطة ، فالتخبط بالرجل والمس باليد"[3].

أما قوله تعالى: ﴿ **إن الذين اتقوا إذا مسهم طائفٌ من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون** ﴾ [4]، ففيه أقوال كثيرة عند المفسرين تتردد بين الوسوسة ، والتزيين ، والهم ، والغضب ، وغيرها .

وقد قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ويعقوب (طيف)، وقرأ الباقون (طائف) [5] ، وفي هاتين القراءتيـن يقول الميداني : **الطائف:** هو الذي يحمل الوساوس والدسائس والتسويلات التزيينية ، فيطوف بها على النفوس ، ويقذف بها في نفس فريسته ، وهذا الحامل لا بدَ أن يكون شيطاناً.

---

1 - سورة البقرة ، الآية 275 .

2 - جامع البيان – للطبري – م 3 – ج 3 – ص 132 ، 133 .

3 - التفسير الكبير – للرازي – م 4 – ج 7 – ص 77 .

4 - سورة الأعراف ، الآية 201 .

5 - إتحاف فضلاء البشر – للبنا – 295 .

والطـيـف : التخـيـُلات والرؤى النفسـية التي قد يهيجها الشيطان ويستثيرها " [1] ، فالطيف بهـذا المعـنى ينصـرف إلـى الدرجة الأولى من المس ، وهي المس النفسي، حيث تثير هذه الوسـاوس الملحـةٌ هموماً وإعياء في النفس ، أما على قراءة (طائف) فهو الشيطان الذي يمس الإنسان بمثل هذه الهموم ، وقد يتعداها إلى أكثر من ذلك، فيصل إلى المس الجسدي، كما قال ابن كثـير : ومنهم من فسره بالغضب ، ومنهم من فسره بمس الشيطان بالصرع ونحوه ، ومنهم من فسره بالهم بالذنب ، ومنهم من فسره بإصابة الذنب .

وقد أورد الحافظ أبو بكر ابن مردويه هاهنـا حديـث أبي هريرة – رضي الله عنه – قـال :: جـاءت امرأة إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – وبها طيف، فقالت : يا رسول الله ادع الله أن يشْفِيني ، فقال : (إن شئتِ دعوتُ الله فشفاك ، وإن شـئتِ فاصبـري، ولا حسـاب عليـك) فقالت : بل أصبر ولا حساب علي [2] " [3].

وإذا سلمنا بأن الجن يمكنه أن يضرَ الإنسان بأكثر من الوسوسة، فهل يمكنه أن يضره بالمس، أو أن يلبس جسم الإنسان، كما يعبر الناس عن ذلك، بحيث يحصل له اضطراب واختلال في حركته أو في عقله؟

أثبتـت آيـة الربا أن الشيطان يمس الإنسان، فيحصل له خلل ، وهذا أمر لا يجوز إنكاره، أو الشك فيه .

وقد ذكر المحدث الشبلي أخباراً وحوادث أيام النبي – صلى الله عليه وسلم – تدل على الصرع بسـبب مـس الجن [4] ، فدخوله في جسم الإنسان كدخول الهواء لا استحالة فيه ، كما صح في الحديـث (إن الشـيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم) [5]، على أن المس لا يتحتـم أن يكون بـالدخول والامـتزاج . فقـد يكون باللمس في موضع حساس بالجسم يحدِث الخلل . كما تتأثر الأعصاب بالإبر أو الضغط ، فيكون الشلل وعدم انتظام الحركة [6].

---

1 - معارج التفكر – للميداني – ج 5 – ص 127 .

2 - وقـد أخـرجـه الحاكـم فـي مستدركه بنحوه وبنفس لفظة (طيف) عن أبي هريرة ج 4 – ص 243 ح 7511

3 - تفسـير القرآن العظيم – لابن كثير – ج 6 – ص 495 ، 496 ، وقال الذهبي : صحيح على شرط مسلم.

3- أحكام المرجان – للشبلي – ص107.

4- سبق تخريجه – ص27.

5- انظر : مجلة الأزهر – الجن وما لهم في الإنس – عطية صقر – ص915 ، 916 – سنة 1415هـ .

الفرق بين مس الشيطان وخطواته:

قـد يخفى على البعض مكان المس من الخطوات ، فالخطوات كما عرفنا : ما يؤثر به الشيطان على الإنسان، فيدفعه إلى ارتكاب المعاصي وتتابعها ، وهذا ما يؤدي إليه المس إن وقع علـى الإنسان بنوعيه كليهما ، فالشيطان قد يكثف من وطأته على عدوه بتتابـع الخطوات عليه وتدافعها حتى تُحدِثَ فصاماً بين الشخص ودينه ، فيقع في الهم والغم والإعياء الذي يدفعه بدوره إلـى الخـلاص منه عن طريق سلوك الدنيا والانحدار في دركاتها ، فيرتكب الآثام ظناً منه أنها تشـفيه، فيسـرق بحثاً عن الراحة المادية ، ويزني بحثاً عن الراحة الجنسية ، ويسكر بحثاً عن الـراحة العقلـية، وهكـذا ، أما من وقع عليه المس الجسدي فإن الشيطان يدفعه بهذا المس إلى ارتكـاب المحـرمات مـن جراء سلوك طرق الشيطان في البحث عن علاج لمثل هذا الصرع، فـيقوده إلى العرافين والكهان ، فيسقط في شرك ضياع صلاته، وعدم قبولها أربعين يوماً ، فإذا صدقهم ، وهو لا ينفك يبحث عن خلاص من هـذا الداء، سقط في شَرَكٍ أعظـم، هو الكفر بما أُنْزِلَ على محمدٍ - عليه الصلاة والسلام – وتجده لا يغادر أبواب السحرة والمشعوذين، فينغمس فـي المحرمات من هذا الباب، هذا إن كان من أبناء الإسلام ، أما إن كان على غير دين الإسلام فهـو يزداد ضلالاً إلى ضلاله وبعداً عن الحق إلى بعده فيزيده تتبع أولئك السحرة ضيقاً وحسرة وشقاء فيضاعف عليه بلاءه الجسدي بالبلاء النفسي .

الخاتمـــة:

الحمـد الذي بنعمته تتم الصالحات ، وقد أتم ا علينا نعمته بتمام هذا البحث ، لنقف مـن خلالـه على معرفة أول عدو لبني آدم ، ألا وهو الشيطان ، مع الوقوف على خطواته التي يصـل مـن خلالها إلى تحقيق أهدافه وغاياته ، وذلك في ضوء دراسة قرآنية موضوعية ، وقد تمخضت الدراسة عن:

النتائج التالية :

أولاً : تم التعرف على المعنى اللغوي للفظة الشيطان ، وإنها ترجع في اشتقاقها إلى جذرين، هما : (شَطَنَ ، شَيِطَ)، وكلاهما يفيد معنى البعيد دائماً وأبداً عن الحق والخير ، والهالك الباطل.

ثانـياً : ظهـر المفهوم الشرعي للفظة الشيطان وهو : كل عاتٍ متمرد على أوامر ا من الجن والإنس.

ثالـثاً : بـان لنا ورود لفظة الشيطان بتصاريفها المختلفة في القرآن الكريم ، حيث ذكرت ثماني وثمانيـن مرة ، ثلاث وخمسون منها جاءت في السور المكية ، وخمس وثلاثون مرة في السور المدنية ، وقد انحصر وجود هذا العدد في ست وثلاثين سورة ، مما يؤكد خطورة هذا الموضوع،

فوجب التحذير منه، وبيان حقيقته.

رابعاً : يظهر مما سبق أن مجيء هذه اللفظة في السور المكية أكثر منها في السور المدنية ، مما يؤكـد أهمـية هذا الموضوع أكثر في العهد المكي ، حيث نزل القرآن على قومٍ استحوذ عليهم الشيطان ، فأضلهم عن سبيل ا ، وجعلهم عبدة أوثان من دون ا .

خامسـاً : ظهـر لنا المعنى اللغوي لخطوات الشيطان عند أهل اللغة التي تعني طرق الشيطان وآثـاره ، وقريباً من ذلك ذكر أهل التفسير بأن المراد بخطوات الشيطان هي الآثام ، أو الطريق الموصل إلى تلك الآثام.

سادسـاً : ظهـر لـنا المعـنى الشرعي لخطوات الشيطان بأنها المراحل الشيطانية الموقعة في المعصـية، بدءاً ببواعث تلك المعصية ودواعيها في النفس مروراً بارتكابها واكتساب الإثم ، ثم انتهاء بكون تلك المعصية مفتاحاً لما يتلوها من معاصٍ تحقق غايات الشيطان الكبرى.

سـابعاً : ظهـر لنا أن تزيين الباطل وتسويله ، الذي يعني " وتسهيل المعصية وتحسينها لفاعلها وتحبيبها له ، مع التنفير من الحق" هو خطوة من خطوات الشيطان المنهجية للإغواء.

ثامـناً : ظهر أن من تلك الخطوات الشيطانية إنساء الإنسان الحق ، ومحاولة صرفه عن أوامر ا بكل الوسائل والسبل.

تاسـعاً : يجـوز وقوع النسيان على النبي صلى ا عليه وسلم بغير وسوسة الشيطان ، وبما لا يؤثـر علـى الوحـي والتشريع ، لأن الأنبياء معصومون عن نسيان شئ مما أمرهم ا بتبليغه للناس.

عاشراً : من أشد الأمور خطورة على شباب اليوم تلك الملهيات التي يعتمدها شياطين الإنس لإنساء الشباب واجباتهم تجاه دينهم وإيمانهم ، وخير علاج لهذا الشَركِ الحذر الشديد ، والرفقة الطيبة التي تذكر با وتعين على الطاعة.

الحادي عشر : ظهر أن التمنية والإملاء بخديعة الخلود قبل البعث ، والحصول على الملْكِ، هي خطـوة شـيطانية ، يعـتمد فيها على وعدهم بالأماني والآمال الكاذبة ، وقد يستمر الشيطان في خداعة حتى في سكرات موت الإنسان، لعله يموت على الكفر.

الثاني عشر : ظهر أن الشيطان يعتمد على أسلوب التخويف من الفقر والموت ، باعتباره خطوة مـن خطواته لإغواء الإنسان ، فهو يستغل نقاط الضعف عند الإنسان ، ليظهر له من خلالها أنه الناصح الأمين على مصلحته وحياته.

الثالث عشر :إن أولياء ا لا ينخدعون بالتخويف من الفقر والموت ، وعليه فإنهم لا يخافون من ذلـك إذا خوفهـم الشيطان، ولا ينقادون لأمره ومراده ، لأن ثقتهم في ذلك با وحده ، وهم لا

يخافون أحداً إلا الله ، فهو وحده الرازق ، وهو المحيي والمميت.

الرابع عشر : ظهر أن النزغ والهمز والأز ألفاظ مرتبطة بالشيطان ، وكلها تصب في معنى واحدٍ ، وهو الوساوس، والنفخ، والنفث، والاستفزاز، وإثارة النفس بالغضب والتعصب ، وكلها من خطوات الشيطان المتصاعدة للإيقاع بالإنسان وإغوائه.

الخامس عشر : يعتمد الشيطان حالة المس للإنسان ، لينتقل بذلك من السيطرة الضعيفة إلى السيطرة الأقوى ، سواء كان مساً نفسياً، أو مساً جسدياً ، وهذا ثابت باتفاق أئمة أهل السنة والجماعة ، وهو مفهوم من كتاب الله ، ومن سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وبهذا فإن الممسوس قد يسلك كل أبواب المعاصي والآثام إيهاماً وتضليلاً واستدراجاً ، مما يجعله ينغمس في خطوات الشيطان ، ولا يكاد يخرج منها إلا بإرادة الله تعالى وعونه.

التوصيات :

1- ضرورة الحذر من هذا الخطر الكبير وتوفير الاهتمام المكافئ له في وسائل الإعلام، وفي مناهج التربية والتعليم، وفي برامج وزارة الأوقاف.

2- إبراز دور شياطين الإنس في الإغواء ولإفساد، لأنهم أخطر من شياطين الجن، إذ إن كيد الشيطان كان ضعيفاً ، بينما الأولون قال الله فيهم:(...هم الْعدو فَاحذَرهم ...)[1] ، وقال كذلك: (لَتَجِدن أَشَد الناسِ عداوةً للِذِين آمنُواْ الْيهود والذِين أَشْركُواْ ...) [2]

فهرس المصادر والمراجع :

1- القرآن الكريم .

2- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر – شهاب الدين أحمد بن محمد الديماطي الشهير بالبناء – وضع حواشيه الشيخ أنس مهرة – منشورات دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – 1422هـ - 2001م.

3- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، قاضي القضاة الإمام أبو السعود محمد بن محمد العمادي ، المتوفى سنة 951 هـ ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة الرابعة 1414 هـ - 1994م.

4- الأساس في التفسير ، سعيد حوى ، دار السلام للطباعة والنشر- القاهرة ، الطبعة الثالثة 1991م.

---

1 - سورة المنافقون ، آية 4

2 - سورة المائدة ، آية 82

5- الأعلام ، خير الدين الزركلـي ، دار العلم للملايين – بيروت ، الطبعة الخامسة 1980م.
6- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، المتوفى سنة 751 هـ ، حققـه وكتـب هوامشـه محمـد حامد الفقي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، 1412 هـ - 1992م.
7- التحرير والتنوير ، الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، ، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس ، بدون تاريخ.
8- تفسير الشعرواي ، محمد متولي الشعراوي ، راجعه أحمد عمر هاشم ،دار الكتب – القاهرة ، الطبعة الأولى 1991م.
9- تفسير القرآن العظيم ، الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ، المتوفى سنة 747 هـ ، تحقيق مصطفى السيد محمد ومحمد السيد رشاد ومحمد فضل العجماوي وعلى أحمد عبد الباقي ، مؤسسة قرطبة ومكتبة أولاد الشيخ للتراث الطبعة الأولى 1421 هـ - 2000م.
10- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) ، الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي الشافعي ، المتوفى سنة 604 هـ ، منشورات محمد علي بيضون – دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى 1421 هـ - 2000م.
11- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي ، دار الفكر المعاصر – بيروت ، دار الفكر – دمشق ، بدون تاريخ.
12- تلبيس إبليس ، للإمام أبي الفرج عبد الرحمن الجوزي ، المتوفى سنة 597 هـ ، حققه وعلـق عليـه أيمـن صالح شـعبان ، دار الحديـث – القاهـرة ، 1424هـ - 2003م.
13- الثبات عند الممات، للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي، المتوفى سنة 597هـ، حققه على مخطوطتين ومطبوعتين المعتصم با   أبو هريرة مصطفى بن علي بن عوض ، دار الجيل – بيروت ، الطبعة الأولى 1413 هـ - 1993م.
14- جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري) ، الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، المتوفى سنة 310 هـ ، اعتنى بتصحيحه وفهرسته مكتبة التحقيق والإعـداد العلمي بدار الأعلام ، دار ابن حـزم – دار الأعلام ، الطبعة الأولى 1423 هـ - 2002م.
15- الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد ا   محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، إعداد المكتـب

الثقافـي ، دار الفكـر للطباعـة والنشـر والتوزيـع ، الطبعة الأولى 1407 هـ - 1987م.

16- الدر المنثور في التفسير المأثور ، الإمام عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي المتوفى سنة 911 هـ ، ضبط النص وتصحيحه وإسناد الآيات ووضع الحواشي والفهارس بإشراف دار الفكر ، دار الفكر ، 1423 هـ - 2002م.

17- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، العلامة أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي ، المتوفى سنة 1270 هـ ، قرأه وصححه محمد حسين العرب بإشراف هيئة البحوث والدراسات في دار الفكر ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت ، بدون تاريخ.

18- صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، المتوفى سنة 354هـ، تحقيـق شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة الثانية 1414 هـ - 1993م.

19- صحيح الترغيب والترهيب– محمد ناصر الدين الألباني–الطبعة الأولى– 1412هـ.

20- صحيح الجامع الصغير وزيادته ، محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثالثة 1408 هـ - 1988م.

21- في ظلال القرآن ، بقلم سيد قطب ، دار الشروق ، الطبعة الشرعية الثالثة عشرة 1407 هـ - 1987م.

22- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم جار ا محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، المتوفى سنة 538 هـ ، دار المعرفة – بيروت.

23- لسان العرب ، أبو الفضـل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي ، المتوفى سـنة 711 هـ ، دار الفكـر للطباعـة والنشـر – بيروت ، الطبعة الأولى 1410 هـ - 1990م.

24- مجلة الأزهر – سنة 1415هـ ، بحث (الجن وما لهم في الإنس) لعطية صقر .

25- مجمل اللغة ، لابن فارس ، المتوفى سنة 395 هـ ، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية 1406 هـ - 1986م.

26- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع وترتيب الفقير إلى ا عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجـدي الحنبلي وسـاعده ابنه محمد ، مكتبة ابن تيمية لطباعة ونشر كتب السلفية ، بدون تاريخ.

27- المحيط في اللغة ، كافي الكفاة الصاحب بن عباد ، تحقيق محمد حسن أل ياسين ، عالم الكتب – بيروت ، الطبعة الأولى 1414 هـ - 1994م.
28- مختار الصحاح ، الإمام محمد بن أبي بكر الرازي ، دار الفكر – بيروت ، بدون طبعة.
29- المستخاص في تزكية الأنفس ، سعيد حوى ، دار القبس – بيروت ، الطبعة الأولى 1403 هـ - 1983م.
30- المستدرك على الصحيحين ، محمد بن عبد ا أبو عبد ا الحاكم النيسابوري ، المتوفى سنة 405 هـ ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى 1411 هـ - 1990م.
31- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، محمد الفيومي ، المطبعة العلمية ، الطبعة الأولى 1315هـ .
32- معارج التفكر ودقائق التدبر ، عبد الرحمن حسن حبنكه الميداني ، دار القلم – دمشق الطبعة الأولى 1420 هـ - 2000م.
33- معالم التنزيل في التفسير والتأويل ، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي ، المتوفى سنة 510 هـ ، دار الفكـر للطباعة والنشر والتوزيع ، إعادة النشر 1405 هـ - 1985م.
34- معجم العين ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ، المتوفى سنة 175 هـ ، دار إحياء التراث العربي ، بدون تاريخ.
35- المعجم الكبير ، سليمان بن أحمـد بن أيـوب أبو القاسـم الطبراني ، المتوفى سنة 360 هـ ، حققه حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مكتبة العلوم والحكم – الموصل ، الطبعة الثانية 1404 هـ - 1983م.
36- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الحديث – القاهرة 1414 هـ - 1994م.
37- معجم المقاييس في اللغة ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، المتوفى سنة 395 هـ ، حققه شهاب الدين أبو عمرو ، دار الفكر للطباعـة والنشر والتوزيعـ، الطبعة الثانية 1418 هـ - 1998م.
38- المفردات في غريب القرآن ، أبو القاسم حسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، المتوفـى سنة 502 هـ ، تحقيـق وضبط محمـد سيد كيلاني ، دار المعرفة – بيروت، بدون تاريخ.

39- مواعظ الإمام الحارث المحاسبي – قام بجمعها صالح أحمد الشامي – المكتب الإسلامي – الطبعة الأولى – 1420هـ - 1999م.

40- موسوعة الحديث الشريف – الكتب الستة ، بإشراف ومراجعة صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، دار السلام للنشـر والتوزيـع – الريـاض ، الطبعة الثالثة 1421 هـ - 2000م.

41- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ، المتوفى سنة 885هـ ،خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه عبد الرزاق غالب المهدي ، دار الكتب العلمية– بيروت- الطبعة الأولى 1415هـ - 1995م.

42- النكت والعيون (تفسير الماوردي) ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي المصـري ، المتوفى سنة 450 هـ ، راجعه وعلق عليه السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيـم ، دار الكتب العلميـة – بيروت ، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت ، بدون تاريخ.